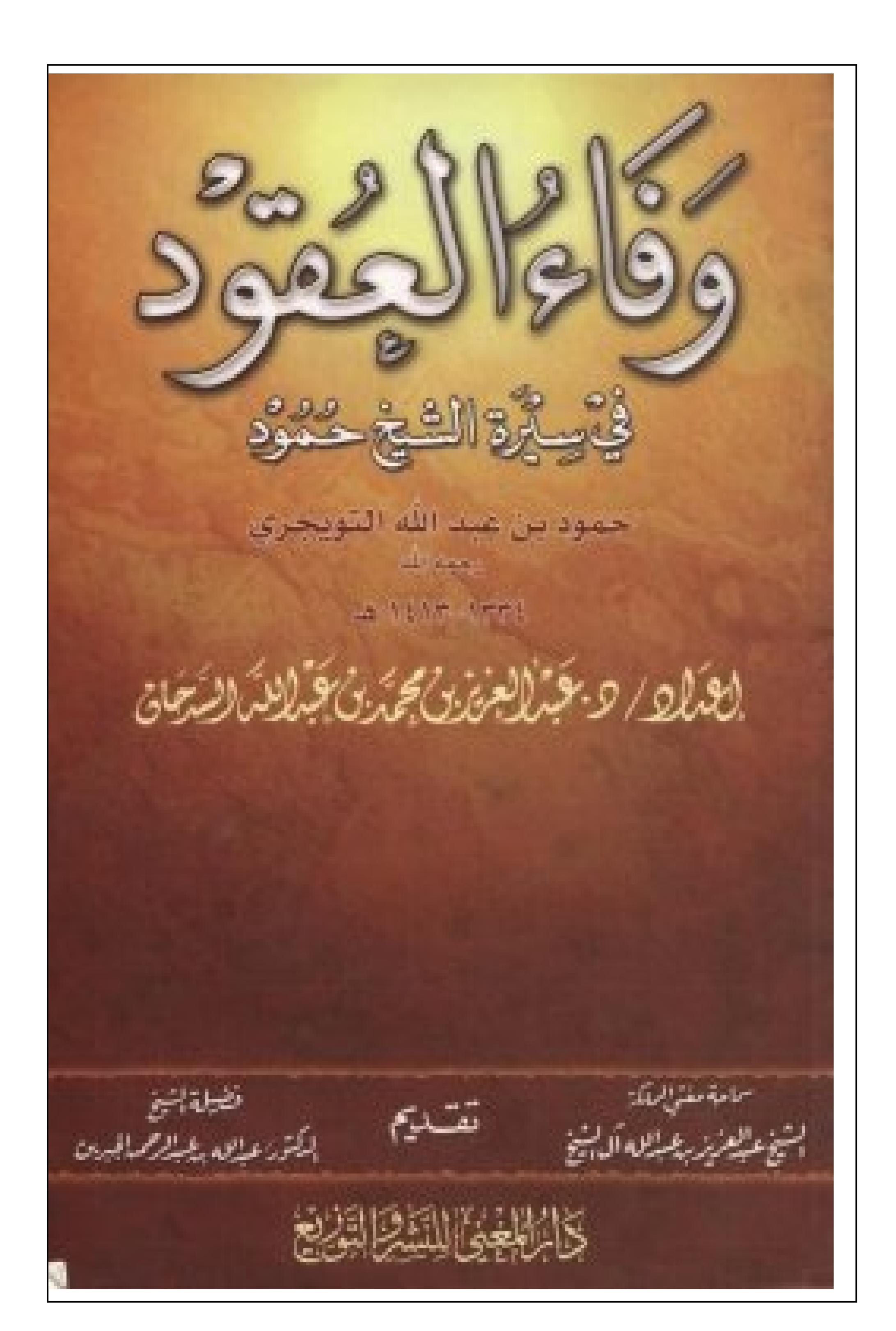

وفاء العهود
في سيرة الشيخ حمود
حمود بن عبد الله التويجري
إعداد / د. عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله السرحان
سماحة مفتي المملكة
الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ
تقديم
فضيلة الشيخ
الدكتور عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين
دار المغني للنشر والتوزيع

وفاء العقود

فِي سيرة الشيخ

حمود بن عبدالله التويجري

١٣٣٤ ـ ١٤١٣هـ

إعداد

د. عبدالعزيز بن محمَّد بن عبدالله السدحان

تقديم

سماحة مفتي المملكة
الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ

فضيلة الشيخ
عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

تقديم

سماحة مفتي المملكة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ

تقديم

سماحة مفتي المملكة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم



المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء
مكتب المفتي العام

الحمدلله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. وبعد:

فإن الاهتمام بتدوين سير العلماء والصالحين من هذه الأمة أمر مهم، وفاء لهم وبراً بهم حتى يبقى في الناس ذكرهم فيكون فيهم من يترحم لهم ويدعو لهم -غفر الله لهم جميعاً-، وأيضاً حتى تكون سيرهم شاحذة للهمم فيقتدي بهم في الخير مقتدٍ ينالهم أجره ولو بعد حين وهذا مطلب مهم، وبحمد الله وتوفيقه فإن أهل الإسلام قد عنوا بذلك عناية فائقة ظهر ذلك في مؤلفاتهم التي صنفوها في تراجم الأعلام وسيرهم.

ومن هذا الباب ما قام به أخونا فضيلة الشيخ/ عبدالعزيز بن محمد السدحان -وفقه الله- وفاءً بحق الشيخ العلامة/ حمود بن عبدالله التويجري، فترجم له ترجمة أتت على جوانب كثيرة من حياته العلمية والعملية، أسأل الله عز وجل أن يجزيه على ما قدم خيراً، كما أسأله سبحانه أن يغفر للشيخ حمود التويجري ويبوأه مقعد صدق في الجنة، وأن يغفر لوالدينا ومشايخنا ومن لهم حق علينا وسائر المسلمين إنه سبحانه جواد كريم ﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،،،

المفتي العام للمملكة العربية السعودية

ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء

عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد آل الشيخ

تقديم

فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رفع قدر العلم وأهله، ورغّب في تحصيله ونيله، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له في عبادته وملكه وأمره ونهيه، وأشهد أنّ محمدًا عبدُه ورسوله الذي علّم العلم بقوله وفعله، صلى الله عليه وسلّم وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فقد قرأتُ هذه الرِّسالة في ترجمة الشيخ حمود بن عبدالله التويجري رحمه الله وأكرم مثواه، كتبها أحَدُ تلاميذه وهو الشيخ عبدالعزيز بن محمَّد بن عبدالله السدحان، وقد أحسن فيما كتب وانتقى، وما ذكره من أخلاق الشيخ حمود رحمه الله وآدابه وعلومه وفوائده ومصنّفاته وتلاميذه ومشايخه وأعماله، وقد اختصر فيما كتبه اكتفاءً بالإشارة إلى بعض آثار هذا الشيخ ومآثره، ممَّا يحصل به معرفةٌ كافيةٌ لهذا الشيخ العالم الكبير، ورجاء الاقتداء به في سيرته وعمله، ورجاء الثناء عليه والدعاء له، جزاءَ ما خدم به العلم والشرع وكافح ونافح وردَّ على الشبهات والأخطاء والبدع، ممَّا يُرجَى له به جزيل الأجر من الله تعالى، ونسأل الله أن يتغمَّده برحمته، ويدخله فسيح جنّته.

والله تعالى أعلم، وصلى الله على محمَّد وآله وصحبه وسلّم.

عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين
عضو إفتاء متقاعد
٥/ ١٠/ ١٤٢٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالَمين، والصلاة والسَّلام على أشرف المرسَلين، نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **أما بعد:**

فيختلفُ الناسُ في علُوِّ مراتبهم وشريف منازلهم بحسب ما يتمايزون به من الصفات الحميدة.

وميزان التفاضل في ذلك راجعٌ إلى كثرة تحصيلهم واتِّصافهم بجميل الصفات وكريمها، وقد يتقاربُ جماعةٌ من الناس ـ أو يتقاربُ أكثرهم ـ لاشتراكهم في صفاتٍ كريمة تتَّفق نوعًا أو عددًا.

إلّا أنّ أفرادًا من الناس قد يَصِلُون إلى منزلة يصعُب الوصول إليها والرُّقيّ إلى مرتبتها، ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ فصلت: ٣٥، ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ الحديد: ٢١، ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ آل عمران: ٧٤

شاهد المقال: أنّ مثل أولئك الأكارم الأماجد تتُوق النفوس إلى معرفة سِيَرهم، بل يدفعُها فُضولٌ محمودٌ إلى التشوُّف والتتبُّع لأخبارهم وأحوالهم جُملةً وتفصيلًا.

وإذا كان ذلك كذلك؛ فمن أولئك الأفذاذ عالم غيورٌ ومصنِّف مشهور في دفاعه عن قلعة الشريعة، أعني بذلك: الشيخ حمود بن عبدالله التويجري رحمه الله تعالى، فسيرة هذا الشيخ وأمثاله حريٌّ بأن تُدوَّن ليستفيد منها طلبة العلم.

وقد عُني أهل التصنيف بتراجم العلماء وأكثروا في هذا الباب، ذلك لعظيم الأثر المترتِّب على معرفة سِيَر القوم.

ومما يحسُن ذِكرُه في هذا إيرادُ شيء من عناية المصنِّفين بتدوين التراجم وبيان شيء من فوائد التراجم، فأقول:

إنّ كلام أهل العلم في العناية بجانب الترجمة للأئمة الأعلام واضحٌ وجليّ، ومن شواهد ذلك على سبيل المثال وليس الحصر: ما ذكره الإمام الحافظ ابنُ حجَر رحمه الله تعالى في كتابه «توالي التأسيس بمعالي محمد بن إدريس» يعني الإمامَ الشافعي رحمه الله تعالى، حيث قال الحافظ: «الحمد لله الذي جعل نجومَ السماء هدايةً للحيارى في البرّ والبحر من الظلماء، وجعل نجوم الأرض ـ وهم العلماء ـ هدايةً من ظلمات الجهل وفضّل بعضهم على بعض في الفهم والذكاء، كما فضّل بعض النجوم على بعض في الزِّينة والضياء»[١].

وقال ابن خلكان في «وفيات الأعيان»: «لكن ذكرتُ جماعةً من الأفاضل الذين شاهدتهم ونقلتُ عنهم، أو كانوا في زمني ولم أرهم؛ ليطّلع على حالهم من يأتي بعدي»[٢].

وهذا ياقوت الحموي في مطلع كتابه «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب» ـ المعروف بـ«معجم الأدباء» ـ يقول: «فهذه أخبار قومٍ عنهم أُخذ علمُ القرآن المجيد والحديث المفيد، وبصناعتهم تُنال الإمارة، وببضاعتهم يستقيم أمرُ السلطان والوزارة، وبعلمهم يتمّ الإسلام، وباستنباطهم يُعرَف الحلال من الحرام»[٣].

---

(١) «توالي التأسيس بمعالي محمد بن إدريس» (ص٢٥).

(٢) «وفيات الأعيان» المقدمة (١/ ٢٠).

(٣) «معجم الأدباء» (١/ ٣٢).

وهذا الغبريني (المتوفى في عام ٧١٤هـ) يقول في مقدمة كتابه «عنوان الدِّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية»: «وذلك بحيث يعلم طالبُ العلم الأئمةَ الذين بهم يقتدى، وبسلوك سننهم السويّ يهتدى»[١].

إنّ معرفة أخلاق العلماء ومعرفة سِيَرهم مَكسَب كبير، وتجارة رابحة لطالب العلم، فإذا قرأ طالبُ العلم تراجم أولئك الأئمة الأعلام ازداد بصيرةً وتنوُّرًا في سلوك طريقه، وفي المقابل يعلم مكامن النقص والخلل في ذاته وسيرته.

وعودًا على بدء يقال أيضًا:

إنّ معرفة سيَرِ العلماء والحرصَ على تدوين أخبارهم ورحلاتهم وجُهودهم سُنَّةٌ ماضية عند أهل العلم المتقدِّمين والمتأخِّرين، يشهد لهذا ويُؤكِّدُه عشرات ـ بل مئات ـ الكتُب المتضمِّنة في مجموعها لآلاف التراجم.

وقد تفنَّن أهلُ العلم رحمهم الله في تصنيفهم لكتب التراجم، فمنهم من أفرد ترجمةً مستقلّةً عن إمام معيَّن، مثل الإمام الموفق بن أحمد المكِّي حينما أفرد ترجمةً مستقلة في مناقب الإمام أبي حنيفة[٢] رحمه الله تعالى، وفعل مثله الكردي[٣] فكتب في مناقب الإمام أبي حنيفة، والصيمري له كتاب «أخبار أبي حنيفة وأصحابه».

وهذا الإمام القاضي عيسى الزواوي أفرد مصنَّفًا مستقلا في ترجمة الإمام مالك رحمه الله تعالى.

---

(١) «عنوان الدراية» (ص١٩-٢٠) .

(٢) واسم كتابه: «مناقب أبي حنيفة».

(٣) واسم كتابه: «مناقب أبي حنيفة».

وأفرد أئمَّة أربعة ـ وهم ابن أبي حاتم الرَّازي[١] والبيهقي[٢] وابن كثير[٣] وابن حجر[٤]ـ مصنفات مستقلة في ترجمة الإمام الشافعي رحمه الله تعالى.

وهناك أئمَّة ـ كالحافظ ابن الجوزي وغيره ـ أفردوا مصنَّفاتٍ مستقلةً في مناقب الإمام أحمد.

ونحا بعضُ أهل العلم منحًى آخر، فأفردوا كُتبًا مستقلةً في ترجمة طبقة معيَّنة يشتركون في عصر أو قُطر أو عِلم أو مذهب، فهناك من أفرد بعضَ أتباع المذاهب بمصنَّف مستقلّ، مثل:

«الفوائد البهيَّة في تراجم الحنفيَّة» لأبي الحسنات اللَّكنوي.

و«الطبقات السنيَّة في تراجم الحنفية» لتقيّ الدِّين بن عبدالقادر الدارمي.

و«الجواهر المضية في طبقات الحنفية» للقرشي.

و«ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك» للقاضي عياض.

و«طبقات الشافعية الكبرى» للسُّبْكي.

و«طبقات الشافعية» لابن هداية الحسيني.

و«طبقات الحنابلة» للقاضي ابن أبي يعلى.

و«الذيل على طبقات الحنابلة» لابن رجب.

و«الذيل على طبقات ابن رجب » لابن عبدالهادي.

---

(١) واسم كتابه: «آداب الشافعي ومناقبه».

(٢) واسم كتابه: «مناقب الشافعي».

(٣) واسم كتابه: «مناقب الإمام الشافعي».

(٤) واسم كتابه: «توالي التأسيس بمعالي محمد بن إدريس».

ومن أمثلة تصنيف التراجم على حسب العلم ونوع الفنّ والتخصّص:

طبقات المفسِّرين، وقد صنف فيها الداودي والسيوطي.

وطبقات المحدِّثين مثل: «طبقات المحدِّثين بأصبهان والواردين عليها» لأبي الشيخ الأصبهاني.

وطبقات الحفاظ، وقد صنَّف فيها الإمام الذهبي كتابًا سمَّاه: «تذكرة الحفاظ».

وطبقات القرَّاء، وقد صنَّف فيها الإمام الذهبي أيضًا كتابًا سمَّاه: «معرفة القرَّاء الكبار».

وطبقات النُّحاة، وقد صنَّف فيها السيوطي كتاب «بُغية الوُعاة».

وطبقات الأطباء، وصنَّف فيها ابن أبي أُصَيْبِعة... وهّلم جرا.

وكما سلف آنفًا؛ فمنهم من أفرد علماء قُطر معيَّن، مثل:

«تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي.

و«تاريخ دمشق» للحافظ ابن عساكر.

و«تاريخ أو أخبار أصفهان» للحافظ أبي نُعيم الأصبهاني.

وتاريخ حلب لابن العديم، واسمه «بُغية الطلب في تاريخ حلَب».

و«تاريخ إربل[١]» لابن المستوفي.

ومن أمثلة تصنيف التراجم على حسب العصر:

«تاريخ الإسلام» للذهبي.

و«الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» لابن حجر.

---

(١) إِرْبِل: بالكسر ثم السكون وباء موحَّدة مكسورة ولام بوزن إِثْمِد. انظر «معجم البلدان» (١/ ١٣٧).

و«البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» للشوكاني...

إلى غير ذلك من أنواع التراجم.

ختامًا؛ فهذا كتاب يجمع أخبارًا موجزةً عن الشيخ العلّامة حمود بن عبد الله التويجري رحمه الله تعالى، والقصد من ذِكر هذه المواقف والأخبار أن يأخذ الإنسان الدروس والعبر وأن يتبصَّر فيها ـ وبخاصة طالب العلم ـ ليحذو حَذو العلماء في عظيم عنايتهم بالعلم تحصيلًا وعملًا وتعليمًا ودفاعًا.

وقبل الشروع في بيان المقصود أقول:

إنّ كتابتي هذا الكتاب لا يرضى به الشيخ حمود ـ لو كان حيا ـ لكراهته الشديدة للثناء والمدح، لكن بعد موته فهو من باب المصلحة الشرعية لبيان شيء من سيرته وجميل أخباره وطريقته المنهجية في الرُّدود على المخالفين.

ولعل هذا العمل من باب البرّ وردّ بعض المعروف لشيخي حمود ـ رحمه الله تعالى ـ الذي عرفته مدّةَ خمسة عشر عامًا فلم أر ولم أسمع إلّا خيرًا من محبَّة وتقدير ودعاء ونُصح وتوجيه وإهداء.

فرحم الله تعالى الشيخ حمودًا وجعل الفردوس الأعلى مثواه، وبارك في ذرِّيته وأحفاده.

د. عبدالعزيز بن محمَّد بن عبدالله السدحان

١٤٢٧هـ

نبذة من سيرته الذاتية والعلمية[(١)]

هو الشيخ العالم الزَّاهد المصنِّف المحقِّق قويّ الحجة أبو عبدالله حمود بن عبدالله التويجري.

وُلِد في مدينة المَجْمَعَة يوم الجمعة في الخامس عشر من شهر ذي الحجة سنة أربع وثلاثين بعد المائة الثالثة والألف.

كانت أسرتُه تُعَدّ من الأُسَر الغنيّة في ذلك الوقت.

نشأته:

* توفي والده وعمره ثمان سنين.

* فنشأ يتيمًا مع أخيه[(٢)] في بيت صلاح ترعاهما ـ بعد رعاية الله تعالى ـ

---

(١) أغلب ما في هذا المبحث من سيرة الشيخ ـ إضافةً إلى نبذ متفرِّقة في ثنايا هذا الكتاب ـ مستفاد من كتاب الشيخ عبدالكريم بن حمود في ترجمة أبيه الشيخ حمود، والكتاب لم يُطبَع بعد.

(٢) هو الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بن حمود التويجري، من أهل العلم والتصنيف، وهو أصغر من الشيخ حمود بسنة وعشرة أشهر تقريبًا، زرته في داره بالمجمعة فرأيت رجلًا وقورًا تُرى فيه آثارُ العبادة والزُّهد، وكان معروفا بجمال الخطّ.

وقد أهداني كتابين من مؤلفاته هما: «الشهب المرميَّة لمحق المعازف والمزامير وسائر الملاهي بالأدلة النقلية والعقلية» و«الإفادات عمَّا في تراجم علماء نجد لابن بسَّام من التنبيهات».

وقد هاتفتُ ابنَه الشيخ عبدالله بن عبدالرَّحمن وطلبت منه نبذةً مختصرةً عن أبيه فتكرَّم مشكورًا وبرَحابة صدر فكتب لي سيرةً مختصرةً جدا ـ حسب طلبي ـ وأرسل إليَّ كتابين آخَرين لوالده هما: «منشور الصواب في الرَّدّ على من زعم أنّ النبيَّ ﷺ من الأعراب»، وكتاب «تيسير العلّام ببيان ما في منتخب المغيري من الأوهام»، كما أرسل إليَّ أوراقًا تتضمَّن خطا لوالده ـ رحمه الله تعالى ـ.

وإليك ما كتبه إليّ الشيخ عبدالله عن والده: =

أمٌّ[(١)] مشفقة.

= «هو عبدالرحمن بن عبدالله بن حمود بن عبدالرحمن بن حمود بن مقحم بن عبد الله التويجري.
وُلد في مدينة المجمعة سنة ١٣٣٧هـ ولما بلغ الخامسة توفي والده ونشأ يتيمًا، وتولت تربيتُه والدته هيا بنت محمَّد بن عبدالله الفاخري، وتركت الزواج من أجله وأخيه الشيخ حمود رحمهما الله تعالى.
تعلم القرآن والكتابة عند الشيخ أحمد الصانع، ولكنه لم يستمرّ بسبب ما يحصل من الأطفال من التعدِّي عليه، فمنعته الوالدة من الذهاب فأكمل حفظ القرآن في البيت حتى أتمّه، ثمَّ لما كبر ألتحق بدروس الشيخ العنقري ـ رحمه الله تعالى ـ، فدرس عليه في شتى الفنون كالفقه والتوحيد والعربية وغيرها، وكذا الشيخ ابن حميد قرأ عليه في «المغني»، وقرأ على الشيخ الخيّال في العربية، وقد أمَّ الناسَ في مسجد المرقب قرابة الثلاثين عامًا، وكان يختم في رمضان ختمتين: واحدة في التراويح والأخرى في القيام، وقد وُجِّه للقضاء في زمن الملك عبدالعزيز حيث وجِّه إلى مدينة «قنا والبحر» ولكنّه اعتذر، وبعد إلحاح وبرقيات للملك أعفي.
وكان يشتغل بالتجارة البسيطة، وكان يفتي الناس في سوق المجمعة حيث يفد عليه المستفتون في الدكّان، وقد كان خطّ الوالد جميلًا حيث كان يكتب الكتب لبعض أئمَّة الدعوة في وقته كالشيخ عبدالله بن عبداللطيف والشيخ محمد بن إبراهيم، وله مخطوطات مثل: «هداية الحيارى في الردّ على النصارى»، و«المذهب الأحمد»، وكتاب «مغني ذوي الأفهام» وكتاب «حواشي التنقيح».
وقد ألّف الوالد أربعة كتب، أولها: «الشهب المرميَّة» سنة ١٣٧٠هـ، وكتاب «منشور الصواب»، وكتاب «الإفادات»، وكتاب «تيسير العلّام».
مَرِض الوالد سنة ١٤١٦هـ وبقي شهر رمضان في المستشفى في المجمعة حتى وافاه الأجل يوم الأربعاء الموافق ١٧/ ١٠/ ١٤١٦هـ، وصلِّي عليه يوم الخميس بعد صلاة الظهر، وحضر جنازتَه خلقٌ كبيرٌ لم تَعْهَد المجمعة مثل هذا العدد، رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً. هذا ما تيسَّر على عجل، أرجو المعذرة، وصلى الله على نبيِّنا محمَّد وآله. عبدالله بن عبدالرحمن التويجري ٣/ ٩/ ١٤٢٧هـ».

(١) اسمها هيا بنت محمد بن عبدالله الفاخري، من ذرِّية المؤرِّخ الشيخ محمَّد بن عمر الفاخري، توفيت سنة ١٣٩٩هـ، وسيأتي ذِكرُها في مبحث «برّ الشيخ بوالديه».
صالحة آثرت تربية أولادِها على الزواج، فقامت برعايتهم واجتهدت فعلم الله صدقَ نيَّتها فأقرَّ عينها وشرح صدرها برؤية ثمار شجرة تعاهدت سقايتها ورعايتها فآتت أُكُلَها، فكان من ثمارها عالمٌ زاهد محقِّق باحث ورّث عشرات من المصنفات القيِّمة شهد لها بعض كبار العلماء بالقوَّة والجزالة لما تضمنته من التحقيق والفوائد والفرائد. =

طلبه للعلم ومشايخه:

نشأ الشيخ حمود ـ رحمه الله تعالى ـ نشأةً صالحةً يصاحب ذلك حرص وهمَّة، يؤكِّد هذا ابتداءُ قراءته على الشيخ أحمد الصانع[١] رحمه الله تعالى سنة ١٣٤٢هـ، فتعلم على يديه مبادئ القراءة والكتابة، وحفِظ القرآن على يديه ولم يتجاوز الحادية عشرة من عمره.

اليُتْمُ لم يُثْنِهِ عن نيل مأربه
والسهل لم يُلْهِهِ عن شامخ القمم[٢]

* ومن أكثر المشايخ الذين لازمهم: الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري ـ رحمه الله تعالى ـ قاضي المجمعة، بدأ عليه القراءة من سنّ الثالثة عشرة ولازمه مدّةً تزيد على خمس وعشرين سنةً، وبالتحديد من أوائل سنة ١٣٤٧هـ إلى منتصف سنة ١٣٧٢هـ، باستثناء المدّة التي تولّى الشيخ حمود فيها القضاء، قرأ عليه في التفسير والحديث والتوحيد والفقه واللغة والتاريخ.

ولم تكن ملازمتُه لشيخه بحضور دروسه فحسب، بل كان يقرأ عليه في بيته في مجالس خاصَّة لاسيما في المطوَّلات مع المقابلة على بعض الكتب

= ولقد ذكر الشيخ حمود لأولاده أنّ والده سُئل عن اختياره لابنة محمَّد الفاخري زوجةً له فقال: أرجو الله سبحانه أن يرزقني منها طلبة علم، وذكر الشيخ حمود أيضًا أنّ والدته رأت في المنام بعد زواجها أنّ زوجها أعطاها مصحفين.

قلت: لعلّ تعبير هذه الرُّؤيا هو: وَلَدان ممَّن يحفظ القرآن ويكونان من أهل العلم، وسيرة الشيخين حمود وعبدالرحمن تطابق هذا.

(١) للفائدة عن الشيخ أحمد الصانع ـ رحمه الله تعالى ـ ينظر كتاب: «أحمد بن صالح الصانع»، بقلم: فهد بن عبدالله بن محمد المزعل.

(٢) من قصيدة صالح بن حمود التويجري في رثاء أبيه، وستأتي كاملة في (ص٤٥-٤٨).

المقروءة والتصحيح.

وإن غَدَوا لنوادي الحيِّ في مَرَح
غدًا إلى شيخه يتلو بلَا سأم[(١)]

ولقد عَرَف الشيخ عبدُالله تلميذَه النجيب معرفةً تامَّةً لما رأى من حرصه وفهمه بالعلم سؤالًا وقراءةً ومقابلةً، فعُني به، بل بلغ من حرص الشيخ حمود أنه عندما تولى القضاء كان يُراسِل شيخه في المجمعة.

وكان الشيخ العنقري يُجِلّ تلميذه لعلمه بنبوغه، فكان إذا أجابه على رسائله بجّله بقوله: «الشيخ الأحشم الأمجد»، ووصفُ الشيخِ تلميذَه بمثل هذا شاهدُ صدق على مكانة التلميذ ورفيع منزلته.

* ومن مشايخه أيضًا الشيخ محمد بن عبدالمحسن الخيَّال، والشيخ سليمان بن حمدان، والشيخ العلّامة محمَّد بن إبراهيم، والشيخ المحدِّث عبدالعزيز بن باز، والشيخ الفقيه عبدالله بن حميد، رحمهم الله تعالى جميعًا، وغيرهم.

من أعماله:

* أُلزِم الشيخ بالقضاء في المنطقة الشرقيّة سنة ١٣٦٨هـ، فمكث ستة أشهر ثم اعتذر، ثم أُلزِم مرَّةً أخرى للقضاء في الزلفي سنة ١٣٦٩هـ، وبقي فيها إلى سنة ١٣٨٢هـ ثمَّ اعتذر.

* طُلِب للقيام بالتعليم والعمل في جهات عديدة، منها:

- المعاهد العلمية عند افتتاحها.
- كلية الشريعة.
- الجامعة الإسلامية.

(١) من القصيدة السابق ذكرُها.

ـ دار الإفتاء بطلب من سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى.

* عُرِض عليه ترشيحُه لعضوية الإفتاء وعضوية هيئة كبار العلماء، وأن يكون دوامَه في منزله، لكنه أبلغ الشيخ ابن باز أنه على استعداد للتعاون معهم.

بره بوالدته:

برّ الوالدين من أعظم القرُبات، وقد تكاثرت فيه النصوص وكان الأنبياء عليهم السلام أبرَّ الناس بوالديهم دعاءً لهم ودعوةً لهم وترفّقًا بهم، وقد قصَّ القرآن علينا شيئًا من ذلك:

فعن نوح عليه السلام: ﴿ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ ﴾ نوح: ٢٨

وعن عيسى عليه السلام: ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي ﴾ مريم: ٣٢ !

وعن يحيى بن زكريا عليه السلام: ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ ﴾ مريم: ١٤!

وإبراهيم عليه السلام سلك مع أبيه أحسنَ مسلَك في دعوته إلى الإيمان، وكذا سلك ذلك النبي ﷺ ذلك مع عمِّه أبي طالب، وعمُّ الرَّجُل صِنْوُ أبيه.

وقد سار أهل العلم على هذا السَّنن، وذَكَرَت كتُب السِّيَر أخبارًا عجيبةً في عظيم بِرِّ العلماء بوالديهم، فمن ذلك:

* أنّ أمَّ الإمام أبي حنيفة كانت تأمرُه أن يذهب بها إلى حلقة عمر بن ذرّ حتى تسأله عن بعض ما أشكل عليها، مع أنّ أبنها كان إمامَ زمانه، ومع ذلك قال أبو يوسف: رأيت أبا حنيفةَ يحمل أمَّه على حمار إلى مجلس عمر بن ذرّ كراهية أن يَرُدَّ على الأمِّ أمرَها.

* وكان منصور بن المعتمر يَفلي رأس أمِّه.

* وقال محمَّد بن المنكدر: بات أخي عمر يصلي وبِتُّ أغمز رِجل أمِّي،

وما أحبّ أنّ ليلتي بليلته.

* وكان حُجْر بن الأدبر يلمس فراش أمِّه بيده ويتقلّب بظهره عليه ليتأكد من لينه وراحته، ثمَّ يُضجِعُها عليه.

* وسُئل الإمامُ ابن عساكر الحافظ الكبير مُحدِّث الشام عن سبب تأخُّر حضوره إلى بلاد أصبهان فقال: لم تأذن لي أمِّي.

إلى غير ذلك ممّا لا يحصيه ديوان كاتب من صُوَر بِرّ العلماء بوالديهم.

شاهد القول: أنّ الشيخ حمودًا ـ رحمه الله تعالى ـ كان بارا بأمِّه، وأمَّا أبوه فقد مات والشيخ في الثامنة من عمره، وأمّا أمُّه فقد عاشت إلى عام ١٣٩٩هـ، وقد كان مثالًا في بِرِّه بها، فقد كان يحملها لقضاء حاجتها، ولمّا ألَمَّ بها المرض أصبح ينام معها في غرفتها ليؤنسها ـ بعد استئذان أهله ـ وقد استمرَّ مرضها سنتين رحمها الله تعالى.

من صفات الشيخ حمود رحمه الله تعالى

أكتفي في هذا بوصفي له من خلال معرفتي له من عام ١٣٩٨هـ إلى وفاته.

إذا رأيتَه ترى هيبةً ممزوجةً بسكينة، ووقارًا مشوبًا بلُطف، كان حَسَن المظهر من غير تكلّف وترفّه، مُظهِرًا للسُّنة، قليلَ الكلام يحترم جليسَه ولو كان صغيرًا، وممَّا حبَّبني لزيارته[١] تواضعُ مِثلِه لمثلي وسؤاله عن والديَّ ووصيتُه لي بالحرص على العلم، فضلًا عن كتُبه التي أكرمني بكثير منها.

وهنا أقول: قد يستفيد الصغير من مجالسة الكبير فينهل من حُسن خُلُقه وسديد قوله ونصحه، فيكون ذلك من التتلمذ عليه حتى ولو لم يحضُر له درسًا أو يَقرأ عليه كتابًا، فالاستفادة من أهل العلم ليست مقصورةً على علمهم فحسب بل يتعدّى ذلك إلى شريف مناقبهم وجميل آدابهم وما يتبع ذلك.

وذكر الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى[٢] عن أبي بكر بن المطوِّعي قال: «اختلفتُ إلى أبي عبدالله ـ يعني الإمام أحمد بن حنبل ـ ثنتي عشرة سنةً وهو يقرأ «المسند» على أولاده، فما كتبتُ عنه حديثًا واحدًا، إنما كنتُ أنظر إلى هديه وأخلاقه».

وذكر أيضًا: «أنَّ مجلس الإمام أحمد كان يحضره خمسة آلاف، خمسمائة يكتبون والباقون يستمدّون من سمته وخلقه وأدبه».

---

(١) وممَّا يُذكَر فيُشكَر في هذا المقام: سعة صدور أبناء الشيخ حمود في حُسن أدبهم وترحيبهم بمن يزور دارهم، وقد لمستُ هذا في كلِّ زياراتي للشيخ حمود بخاصَّة ولهم بعامَّة.

(٢) في «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣١٦).

فرحم الله الشيخ حمودًا، فكم والله استفدتُ من طيب مجالسه ومجالسته وحُسن أخلاقه وصادق نُصحه ودعواته، وكذا ما أكرمني به من إجازته العلميَّة وما أتحفني به من مؤلفاته.

وممَّا لاحظتُه على الشيخ غير مرَّة ـ وقد حُدِّثتُ أنّ ذلك شأنه دائمًا ـ التزيُّن للصلاة بلبس المشلح والتطيّب، ناهيك عن التبكير إليها.

وممَّا عرفته ـ بل تيقّنتُه ـ عنه: بُعْدُه بل بُغضه للشهرة أو أن يُذكَر بإطراء ومدح، ومن شواهد ذلك أنه طيلة معرفتي بشخصه الكريم ـ رحمه الله تعالى ـ كنتُ إذا حضر المجلس أشعُر بمحبَّته لي وإذا كلّمته أو سألتُه أجابني بسكينة ووَقار، وكنتُ أشعر بغبطةٍ وحُبُور إذا كان حاضرًا في المجلس.

وكان كما عهدتُه لم يَتَغيَّر عليَّ إلّا مرتين: في الأولى استراب من سؤالي فنظر إليَّ وأمسك عن الجواب، وفي الثانية أعدتُ السؤال فأعاد الجواب بعتاب مصحوب بدعاء، وأشهد أنِّي كنتُ أحقَّ بذلك العتاب وأهلًا له.

وإليك الخبر: أخبرني أحدُ أبناء الشيخ حمود ـ رحمه الله تعالى ـ أنّ الشيخ قرأ «فتح الباري» كاملًا على شيخه العنقري، فسألتُ الشيخَ حمودًا بنفسي فقال: نعم، ثمَّ سألتُه عن الكتب الأخرى التي قرأها على شيخه فاستراب من سؤالي وأمسك عن الجواب، وقلت: يا شيخ، لعلّ هذا يوثّق فيكون دافعًا لطلبة العلم؟ فقال: يا عبدالعزيز، دع عنك هذا فهو لا ينفعك.

وهذا ممّا يؤكد بُغضَه للشهرة والحديث عن نفسه.

وبعد حين من الدهر قلت له في ضمن كلام: يا شيخ، قراءتُكم على الشيخ العنقري، فدعا لي بصيغة معاتبة، ثمَّ قال: ألم أنهك عن هذا؟

وقد سلك الشيخ حمود ـ رحمه الله تعالى ـ مسلكَ السَّلف الصالح في بُعدهم عن تتبُّع مواطن الشهرة.

قال حمَّاد: كنت أمشي مع أيوب فيأخذ في طرُق إني لأعجب كيف يهتدي لها فرارًا من الناس أن يقال: هذا أيوب.

وقال الإمام أحمد: أريد أن أكون في شِعْب بمكة حتى لا أُعرَف، وقد بُليت بالشهرة.

وبكل حال؛ فكلَّما تذكرتُ حديث النبيِّ ﷺ: «**أولياء الله الذين إذا رُؤُوا ذُكِر الله**»[١] مرَّ على خاطري ثُلّةٌ من الناس منهم الشيخ حمود رحمه الله تعالى، أحسبُه كذلك والله حسيبه ولا أُزَكِّي على الله أحدًا.

(١) وفي لفظ مقارب: «**أولياء الله هم الذين يُذْكَر الله لرؤيتهم**». إسناده حسن. انظر: «السلسلة الصحيحة» حديث (١٦٤٦، ١٧٣٣).

همة عالية وعزيمة صادقة في البحث والكتابة

رَزَق الله تعالى الشيخ حمودًا ـ رحمه الله تعالى ـ جَلَدًا في البحث والكتابة، وبنظرة إلى مؤلفاته عمومًا وتأمُّل أحدِها خصوصًا يرى القارئ مَدَى قوَّة عزيمته وصادق همَّته.

أترابُه شُغِلوا باللّهو وانصرفت
منه العزيمة للكرَّاس والقلم(١)

وممَّا يؤكِّد ذلك أنه يعكف عليها بنفسه بحثًا وتنقيبًا دون الاستعانة بأحد من الناس.

يمضي لحاجته لا يستعين على
إنجاز مطلبه بالأهل والخدم(٢)

ولو قلّبت النظر في «إتحاف الجماعة» و«دلائل الأثر» وغيرها ظهر لك شيءٌ من الجهد المبذول في بحثها وجمعها، وسيأتي بيان شيء من ذلك في المبحث الخاصّ بمؤلفاته، ولا بُدّ من الإشارة هنا إلى أنّ الشيخ كتب تلك المؤلفات قبل انتشار أجهزة الكمبيوتر التي قرَّبت بعيدًا وجمعت متفرقًا بتوفيق الله تعالى.

ولقد ورَّث الشيخ حمود ـ رحمه الله تعالى ـ ميراثًا علميا كثيرًا طيِّبًا مبارَكًا فيه، ولقد قمت بإحصاءٍ تقريبيّ لمجموع ما كتبه الشيخ حمود فبلغ قرابة تسعة آلاف ورقة.

---

(١) من قصيدة صالح بن حمود التويجري في رثاء أبيه، وستأتي كاملة (ص٤٥-٤٨).

(٢) من القصيدة المشار إليها سابقًا.

وقد كان ـ رحمه الله تعالى ـ مكبا على العلم قراءةً وبحثًا وكتابةً، رأته امرأتُه أمُّ عبدالله مكبا على أوراقه وقد ظهر عليه الجهد والإعياء فقالت له: لو تركتَ القراءة والكتابة، فقال: مع المحبرة إلى المقبرة، وهذه الجملة قالها غيرُ واحد من كبار أهل العلم، وسيأتي في مبحث مؤلفاته مزيد بيان.

بره بكتب العلم

اخترتُ هذا العنوان لأنّ البرَّ يستلزم العناية بالمبرور بجميع أحواله، وأحسب أنّ الشيخ حمودًا ـ رحمه الله تعالى ـ كان بارا بكتُب العلم وهو حقيقٌ بهذا الوصف وأهلٌ له، فأقول:

ممَّا ينبغي أن يُعلم في هذا المقام أنّ همَّة الشيخ حمود ـ رحمه الله تعالى ـ لم تكن قاصرةً على تصنيف المصنّفات فحسب، بل كانت متعدِّيةً إلى أمور كثيرة يجمعها حبُّه للعلم، فمن ذلك:

(١) نسخ الكتب:

فقد نسخ الشيخ بخطِّه كُتبًا كثيرةً، منها:

الكتاب	عدد الأوراق
الجزء الرَّابع من «الإنصاف في معرفة الخلاف» للمرداوي	١٩٠
الجزء الأول من «حاشية المقنع» للشيخ سليمان بن عبدالله	١٩٥
الجزء الثالث من «حاشية المقنع» للشيخ سليمان بن عبدالله	٢٧٤
«شرح ملحة الإعراب» للحريري	٧٩
«منحة القريب المجيب في الرَّدّ على عُبَّاد الصليب»	١٠٠
«منتقى عقد الفرائد وكنز الفوائد» لابن معمر	١٠٦

(٢) مقابلته لبعض الكتب الخطية أو المطبوعة على أصول خطِّية للتصويب:

فمن ذلك:

«التسعينية»، فرغ منها عندما كان عمره ثلاثين سنة.

«الرَّدّ على الأخنائي».

«الكافية الشافية» لابن القيم («النونية»)، فرغ منها عندما كان عمره سبعًا وعشرين سنةً.

(٣) نهمه في القراءة على شيخه العنقري:

قرأ الشيخ حمود على شيخه العنقري ـ رحمهما الله تعالى ـ كتبًا كثيرةً، بعضها تكرَّرت قراءته لها مرَّة وبعضها مرَّات، فعلى سبيل المثال:

مما قرأه مرَّةً واحدةً:

«صحيح البخاري».

«صحيح مسلم».

«فتح الباري».

«سبل السَّلام».

«المغني» لابن قدامة.

«المقنع» لابن قدامة.

«فتاوى شيخ الإسلام».

وممَّا قرأه مرَّتين:

«فتح المجيد» للشيخ عبدالرحمن بن حسن.

«شرح عقيدة الأصفهاني».

ومما قرأه مرارًا:

«الرَّوض المُرْبِع» مع حواشيه.

«زاد المستقنع» للحجاوي.

«العقيدة الواسطية».

(٤) تجليده لبعض كتُبه في أيام شبابه:

فمن حرصه على الكتاب أنه كان يقوم بحبك كتابه ثمَّ تجليده.

ومن الكتُب التي قام بتجليدها بعد حبكها:

«بلوغ المرام».

«شرح العقيدة الطحاوية».

«فتح المجيد».

«كتاب السنة» لعبدالله بن أحمد.

«شرح مُلحة الإعراب».

(٥) صناعة فهارس لبعض الكتب التي قرأها مع فهارس لبعض الكتب خاصة بفوائد الكتاب ومباحثه المهمة.

(٦) تدوين بعض الحواشي والتعليقات على كتب كثيرة:

تارةً لإيضاح كلمة غريبة وتارةً للتنبيه على زلة شنيعة.

(٧) انتقاء الفوائد من الكتب وإفرادها:

فمن ذلك:

فوائد منتقاة من «مدارج السَّالكين»، من الجزء الأول وبداية الثاني في ٦٠ صفحة.

فوائد منتقاة من «معجم الأدباء» لياقوت الحموي.

فوائد منتقاة من «المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية».

(٨) حرصه على شراء الكتب.

عنايته بالترتيب في جميع أموره

ترتيب الأمور من أعظم الأسباب ـ بعد توفيق الله تعالى ـ في استثمار الأوقات، ممَّا يترتّب عليه الخير الكثير.

ولقد كان الشيخ حمود ـ رحمه الله تعالى ـ متميزًا بترتيب أموره دقيقها وجليلها.

فمن ذلك مثلًا:

(١) عنايته بتدوين ما قرأه على شيخه عبدالله العنقري:

والعجب أنّ عنايتَه لم تقف عند تدوين اسم الكتاب المقروء فحسب، بل وضع مسردًا مجدولًا لجميع مقروئه على شيخه بيّن فيه تاريخ بدء القراءة ونهايتها وعدد مرَّات القراءة مع عدد المجلدات وصفتها... إلى غير ذلك، وانظر ذلك في مبحث: «بره بكتب العلم».

ومن ذلك:

(٢) ترتيبه لأمور الكتابة:

فقد كان يهيِّئ الورق المعدّ للكتابة على المقاس المناسب الذي يختاره، ثمَّ يقسم مجموع الورق إلى مَلَازم، وقبل فشُوّ الورق الحديث المسطّر كان يُعنَى بتسطير الورق بوضع مستطيل خشبيّ فيه خيوط متوازية ثم يجعل عليها ثقلًا لترسم الأثر المسطّر على الورق.

(٣) ترتيبه لأوقات زياراته وصلة رحمه.

(٤) ترتيبه لمكتبته ترتيبًا بديعًا:

مبتدئًا بكتب التفسير، ثمَّ علوم القرآن، ثمَّ كتب الحديث وشروحه

وعلومه، ثمَّ كتُب العقائد.

وقد أفرد مكانًا خاصا لمحدود الاطِّلاع من الكتُب ممّا كان يحتفظ به للتنبيه عليه أو الرَّدّ على أصحابه، وبيّن على كتاب منها التحذير منه وأنّ العلة في اقتنائه محاولة الرَّدّ عليه، بل أوصى بإحراق بعضها بعد ذلك خشية الانخداع بما فيها.

(٥) ترتيب وقت نومه واستيقاظه وأكله وشربه.

(٦) وحين تولى القضاء قام بترتيب ما يرد إليه من القضايا وما يصدر عنه من الأحكام في سجل خاص قيد فيه كل قضية برقمها وتاريخها.

(٧) عمل سجلا لمواليد آل بيته:

وضمَّنه ثبتًا للرَّضاع الناشر للحُرمة المتعلِّق به أو بأحد من أولاده، يذكر فيه المرتضع والمرضعة وصلته بهما.

جلوسه للتدريس وتلاميذه

لم يكثر تلاميذ الشيخ حمود ـ رحمه الله تعالى ـ لقلة جلوسه للتدريس، وذلك لأسباب، منها:

أنه كان مصابًا بنوع من المرض يعسر عليه رفع الصوت وإطالة الحديث، ولذلك كان يتحاشى الخطابة والإمامة في الصلاة الجهريَّة، ومع ذلك فقد عقد الشيخ حلقةَ علم عندما كان قاضيًا في الزُّلفي، وكان التلاميذ يقرؤون عليه بعض المتون حفظًا ثمَّ يشرح ذلك بعبارة سهلة، وقد يستخدم أسلوب الاستجواب في الإيضاح.

وعقد الشيخ أيضًا درسًا في المجمعة بعد تركه القضاء، ولم يدم ذلك الدرس طويلا، وكان ـ رحمه الله تعالى ـ يشترط على من يرغب التتلمذ عليه شرطين إن وفّى بهما وإلّا فلا يقربن حلقته:

الأوَّل: أن يحضر إلى المسجد بعد سماع الأذان مباشرة، ومن أقيمت الصلاة وليس في المسجد فلا مقام له عنده.

الثاني: أن يتحلّى بحلية طالب العلم في مَنطِقه وفعله ومخالطته.

ومن طلّابه في الزلفي: زيد الغانم، عبدالله بن سليمان الرُّومي، عبدالله بن محمَّد الناصر الحمود، قاسم بن الشيخ فالح الصغير، محمد بن عبدالله الدرويش، ناصر بن عبدالله الطريري.

ومن طلابه في المجمعة: عبدالرحمن بن علي الهندي، عبدالرحمن بن محمد المزعل، عبدالله بن محمد الدريعي، علي بن عثمان التركي، ناصر بن يوسف الوكيّل.

وقد تتلمذ عليه أبناؤه جميعًا: عبدالله، ومحمد، وعبدالعزيز، وعبد الكريم، وصالح، وإبراهيم، وخالد، وحفيده محمد بن عبدالله، كما أجاز جمعًا من مشايخ العلم وطلبته.

وهنا أقول: لعلّ كثيرًا من قرّاء كتُب الشيخ حمود يُعتبَرون من طلاب الشيخ حمود حُكمًا بحكم الفائدة التي جَنَوها من بحوث الشيخ ونقولاته وتقريراته.

حفظـــه

رزق الله تعالى الشيخ حمودًا حافظةً عجيبةً، ولعل عدم شهرة ذلك عدم جلوسه الطويل للتدريس، لكن المقرّبين منه ـ كأولاده وغيرهم ـ يعرفون ذلك عنه.

ومن شواهد ذلك:

* قال عن نفسه: إنه لم يكن ينسى ما وقف عليه الإمام في الصلاة ولو بعد مدّة، ولو سُئلت عمّا قرأه في اليوم الفلاني ـ ولو كان قبل شهر أو أكثر ـ تذكَّرت ما قرأه ولم أنس ما وقفت عليه من القراءة والحمد الله.

* لم يسمع أنَّ أحدًا فتح عليه في قراءة القرآن لا في الصلاة ولا خارج الصلاة.

* ومن المتون التي حفظها على مشايخه: «الأصول الثلاثة»، و«كشف الشبهات»، و«كتاب التوحيد»، و«العقيدة الواسطية»، و«بلوغ المرام»، و«آداب المشي إلى الصلاة»، و«زاد المستقنع»، و«شروط الصلاة»، و«الرَّحبية»، و«البيقونية»، و«ألفية ابن مالك»، وغير ذلك.

* كان يحفظ مواعيدَه الخاصَّة بنفسه دون استعانة بأحد، ولم يُذكَر أنه أخلف شيئًا منها قطّ.

* كان يحفظ تواريخ المواليد، ولم يكن حفظه مقصورًا على أولاده وأهل بيته فحسب، بل تعدّاهم إلى عموم الأسرة وكثير من أهل بلده.

وأسوق هنا لطيفتين في مقام حفظ الشيخ:

* **الأولى**: كان الشيخ حمود يقرأ على سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ رحمه الله تعالى ـ في بعض كتُبه، فقرأ الشيخ حمود ـ رحمه الله تعالى ـ اسم عَلَم

من الأعلام بضبط، فقال الشيخ عبدالعزيز رحمه الله تعالى: أليس ضبطه كذا؟ بضبط آخر، فقال الشيخ حمود رحمه الله تعالى: بل ضبطُه كما قرأت. فقال الشيخ: أمتأكِّد يا شيخ حمود؟ قال الشيخ حمود: نعم، فقال الشيخ عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى ـ بدعابة: سنختبرك يا شيخ حمود.

ثمّ طلب الشيخ عبدالعزيز من أحد أبناء الشيخ حمود أن يُحضِر كتاب «الإكمال» لابن ماكولا، وكتاب «المغني» للفتني وغيرها من كتب ضبط أسماء الرِّجال، فإذا ضبط اسم العَلَم كما قرأه الشيخ حمود رحمه الله تعالى.

فقال الشيخ عبدالعزيز ـ رحمه الله تعالى ـ وهو يبتسم: نجحت يا شيخ حمود.

* **الثانية**: جرى الحديث مرَّة عند بعض أقارب الشيخ حمود في سنّ بعض الحاضرين، فقال أحدُهم: أنهُوا الحديث في هذا الموضوع قبل أن يأتي الشيخ حمود فيفضحنا، ومرادُه أنّ الشيخ حمودًا يعرف تواريخ ميلادهم فإذا ذَكَرها انكشفت أعمارُهم على الحقيقة.

عنايته بالسنة وغيرته على منهج السنة

عُني الشيخ حمود ـ رحمه الله تعالى ـ بالسُّنّة عنايةً عظيمةً تعلّمًا وعملًا ودفاعًا، يشهد لذلك مؤلفاته المقرِّرة والمعظّمة للسُّنة عقيدةً وعبادةً وسلوكًا، وقد قرن ـ رحمه الله تعالى ـ العلم بالعمل، فتمثّل السُّنة في عباداته وأخلاقه وتعامله مع المخالفين.

وأقول هنا:

إذا كان ـ رحمه الله تعالى ـ يُعنى بالسُّنة في المستحبَّات ـ كالتصبُّح بسبع تمرات قبل دخول جوفه أيّ شيء، وحرصه على الأكل بثلاث أصابع، ولعق أصابعه بعد الأكل، ولم يعب طعامًا ولا شرابًا قطّ إن اشتهاه أكله وإن كرهه سكت، وكالنوم على الجنب الأيمن... إلى غير ذلك ـ فكيف يكون شأنه في غير ذلك؟!

إليك شيئا من ذلك:

ففيما يتعلق بالعبادة في الصلاة مثلًا هناك عناية بتمثّل الصلاة النبوية، أمَّا غيرتُه على منهج السَّلف فأمره عَجَبٌ.

اشتهر أحدُهم ببدعة عَقَديَّة وأصرَّ عليها مع قيام الحُجَّة عليه فسلّم على الشيخ حمود مرةً فلم يرُدّ الشيخ السَّلام عليه، وقال له: «أنت مهجورٌ لا سلام عليك»!

ونصح مرَّةً رجلًا كان يلازم أهلَ بدع فلم ينتصح، فجاء ذاك الرَّجل لزيارة الشيخ حمود فقال له الشيخ حمود: «ألم أنهك عن زيارتي حتى تترك أولئك؟».

من لين جانبه وشفقته

من رأى الشيخ حمودًا ـ رحمه الله تعالى ـ يرى رجلًا مهابًا، وقد يظنّ أنّ تلك الهيبة تُنافي اللِّين والرَّأفة، لكن من رأى أو عَلِمَ عن حياة الشيخ ظهر له خلاف ذلك.

فقد كان الشيخ حمود ـ رحمه الله تعالى ـ متمثلًا لقوله ﷺ: «**خيرُكم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»[1].

وهذه الخيرة شاملة مع جميع الأهل، فقد كان يتبسَّط مع أهل بيته فيتحدّث مع أولاده من غير فرق بين صغير أو كبير، بل إنّ الصِّبية الصغار كانوا يأنسون بقُربه ويجتمعون عنده، فربما اجتمعوا عليه عند تناول الطعام فلا يضجر منهم، بل يُدنيهم إليه ويُطعمهم ممَّا يأكل بيده.

* كان إذا تكلّم مع أحَد أو كلّمه أحدٌ لم يُحِدَّ إليه نظرَه.

* كان عادلًا بين أولاده ذكورًا وإناثًا، ومن تمام عدله أنه مات ـ رحمه الله تعالى ـ ولا يُدرَى مَن أحبُّهم إليه.

* وإن كان عطفه وشفقته على الصغير والإناث تبدو من خلال حديثه وتصرُّفه.

* ومن لين جانبه أيضًا: تعامله مع من وقع في المعصية بجهالة، وقد أثر بشفقته ورأفته عليهم في تغيّر أحوالهم.

ومن لطيف ما يُحكى عنه: أنّ أحدَهم كان يتعاطى الدُّخان وقد أنكر عليه

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٩٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

أهله وأغلظوا عليه فما زاده إلّا إصرارًا وعنادًا.

قال: فلقيني الشيخ حمود وأنا أتعاطاه، فلمَّا رآني استحيت منه وتمنّيت أنّ الأرض ابتلعتني، ولم أدر ما أقول، لكنه ـ رحمه الله تعالى ـ بادرني بقوله: «يا فلان، إنّ ما تتعاطاه يُباعدك من الرَّحمن ويُقرِّبك من الشيطان، ويُبغِّضك إلى جليسك وينفره منك».

قال: فجعل يَعظني برفق فلم يخرج من عندي حتى حلفت أن لا أقربه بعد يومي ذاك، وقد كان ولله الحمد.

وصورة أخرى من لين جانبه وحكمته رحمه الله تعالى:

رجلٌ أسبل ثوبَه فجمعه مجلسٌ مع الشيخ، فقال الرَّجل: لقد نصحني الشيخ بما أثّر في نفسي ولم يَعلم بذلك مَن حولي، بل كانوا يظنّون أنّ الشيخ كان يخُصُّني بحديث.

من أساليب تربيته للصغار

العناية بالصِّغار والشباب وحُسن تربيتهم من السِّياسة الشرعية، وسيرة النبيِّ ﷺ غنيّة بالأمثلة على هذا.

فمن ذلك: لما أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرةً من تمر الصدقة ووضعها في فيه أخرجها النبيُّ ﷺ وقال له: «**كَخ كخ**» ليطرحها، ثمَّ قال: «**أما شعرت أنّا لا نأكل الصدقة؟**».

ومن ذلك أيضًا قوله ﷺ لذلك الغلام الذي كانت يدُه تطيش في صحفة الأكل: «**يا غلام، سَمِّ الله وكُل بيمينك، وكُل مما يليك...**».

وقال مالك بن الحويرث: أتيتُ النبيَّ ﷺ في نَفَر من قومي ـ وفي بعض الرِّوايات أنهم كانوا شبابًا ـ فأقمنا عندَه عشرين ليلةً، وكان رحيمًا رفيقًا.

وبوّب البيهقي في «السنن الكبرى» بما نصّه: «باب ما على الآباء والأمَّهات من تعليم الصبيان أمر الطهارة والصلاة». ثمَّ ساق بإسناده حديث: «**علّموا الصبي الصلاة ابنَ سبع سنين واضربوه عليها ابن عشر**».

ولقد سلك أهل العلم هذا المسلك مع أولادهم فعُنوا بتربيتهم على حسن الأخلاق وفضائل الأعمال.

قال إبراهيم النخعي رحمه الله: «كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار».

قال الشيخ سليمان بن عبدالله: «وفي هذا الرَّغبة في تمرين الصِّغار على طاعة ربِّهم عمَّا يَضُرُّهم،و﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ الحديد: ٢١

وقال الخطيب البغدادي: «ما جاء في تعليم الرِّجال أولادَهم ونساءَهم،

والسَّادات عبيدَهم وإماءهم». ثمَّ ساق آثارًا، منها:

أنّ ابن عمر رضي الله عنهما قال: «أدِّب ابنك فإنك مسؤولٌ عن ولدك ما علّمته، وهو مسؤول عن برِّك وطاعته لك».

قال عبدالله بن الإمام أحمد: «لقَّنَني أبي أحمد بن حنبل القرآن كلّه باختياره».

وقال إبراهيم ابن أدهم: «قال لي أبي: يا بُنَيَّ اطلُب الحديث فكلّما سمعتَ حديثًا وحفظتَه فلَكَ درهم، قال: فطلبت الحديث على هذا».

قلت: ولقد عُني الشيخ حمود ـ رحمه الله تعالى ـ بتربية الصِّغار على الأخلاق الفاضلة، فمن ذلك:

* ما حدّثني الشيخ محمد بن حمود أنهم عندما كانوا صغارًا كانوا يجمعون بعض الصُّوَر لبعض المشهورين عند الناس، وكانت تلك الصور تأتي مع أغلفة لبعض السِّلع التجارية، قال: فكان الوالد الشيخ حمود ـ رحمه الله تعالى ـ إذا رأى ذلك معنا أخذها منّا ومزَّقها ثمَّ أعطانا بدَلَها نوعًا من الحلوى.

يقول الشيخ محمد: فكنّا نتكلف في البحث عن تلك الصُّوَر حتى يأخذها منّا ويعطينا بدلها حلوى.

* وحدّثني الشيخ محمد بن حمود أيضًا قال: إنه لما كان في المرحلة المتوسطة دعا بعض من يذاكر معهم في المسجد ـ وكانوا أكبر منه سنًّا ومتقدِّمين في المرحلة الدراسية ـ إلى المنزل ليقوم بضيافتهم، قال: فحضروا وطرقوا الباب، فتحرَّجت من إدخالهم، فلم أفتح لهم. قال: فكأنّ الوالد ـ الشيخ حمودًا ـ أحسَّ بذلك، فسألني عن الأمر فأخبرته. قال محمَّد: فأمرني بدعوتهم في الغد، ثمّ ذهب الشيخ بنفسه إلى السوق واشترى بعض الفاكهة، فلمّا حضروا جلس الشيخ معهم.

قلت: تُرى كيف يكون أثرُ ذلك المجلس وتلك الضيافة في نفوس أولئك

الشباب؟

وتقدّم في المبحث السَّابق كيف كان الصِّغار يأنسون بقُربه ويجتمعون عنده عند تناول الطعام وغيره، وكان لا يضجر منهم بل يدنيهم إليه ويُطعمهم ممَّا يأكل بيده.

من ورعــــه

* طلب من أولاده في وصيته أن يُبيحوه ممّا يظنّ أنه قد تجاوز فيه الحدّ في تأديبهم.

* دخلتُ عليه في بيته وهو على فراش المرض، فلمَّا ودَّعتُه منصرفًا قلت: يا شيخ حلِّلني، فقال: يا عبدالعزيز أنت حلِّلني، اللهمَّ اجعل منزلَه الفردوس الأعلى.

* لم يُسمَع منه يمين. وهذا من تعظيم حُرُمات الله تعالى. قال بعض السلف: من كثر حَلِفُه بالله قَلّت هيبة الله تعالى في قلبه.

* لم يُسمَع منه غيبة. وهذا مسلك أهل العلم. قال البخاري: «والله ما اغتبتُ أحدًا مُذ علمتُ أنّ الغِيبة حرام. أمّا مقام الجرح والرَّدّ على المخالفين فهو من باب القرُبات الشرعية كما قرَّر ذلك أهل العلم.

* لما أصيب بمرض في فقرات الرَّقبة واحتاج إلى علاج طبيعي لها طلب منه الطبيب أن يضطجع على بطنه فأبى، وذكر حديث النهي عن الضجعة على البطن[1]، فأخبره الطبيب أنه لا بُدّ من ذلك وأخبر الطبيب أنه سيضطجع على ظهره ولتفعل ما تشاء.

* ومن عجيب ورعه فرارُه من القضاء ومحاولة التخلّص بشتّى الوسائل.

وإليك هذه القصة العجيبة في تورّع الشيخ حمود عن تولي القضاء، ممّا يذكِّرنا بعلماء الرَّعيل الأوّل في تورّعهم عن القضاء.

---

(١) قال عنها ﷺ: «**ضجعة أهل النار**». وفي لفظ: «**ضجعة يبغضها الله**». أخرجه الإمام أحمد.

تقول القصة:

بعث الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله تعالى ـ إلى الشيخ عبدالله العنقري لترشيح من يصلح من تلاميذه للقضاء، فرشَّح الشيخ حمود رحمه الله تعالى، وجاء الأمر إليه بتولِّي القضاء، فجرت بينه وبين الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله تعالى ـ مكاتبات وبرقيات يستعفيه فيها من القضاء، لكنها لم تُجْدِ شيئًا، فأظهر الشيخ حمود ـ رحمه الله تعالى ـ القبول بالأمر الواقع لكنه تلكّأ في السَّفَر إلى الرِّياض علّهم يُعفونه، فكتب الملك عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى ـ إلى أمير المجمعة آنذاك ـ ابن بتال ـ بإلزامه بالخروج، فاختفى الشيخ حمود ـ رحمه الله تعالى ـ واحتجب عن الخروج، فأقام الأمير رجلًا من رِجالات الإمارة ـ خوي ـ على باب داره، وجعل يطرُق الباب كثيرًا، ويُلِحّ على الشيخ حمود بالخروج ليسافر إلى الرِّياض، ومنها إلى مقرّ عمله قاضيًا، فلمَّا اشتدّ الأمر على الشيخ حمود خرج إلى الرِّياض مُكرَهًا واختفى هناك عند بعض أقاربه، وصار لا يخرج حذرًا.

وذات يوم كان يمشي في السوق، فأشار رجل إلى بعض أعوان الشايقي وقال: هذا الشيخ حمود التويجري الذي تبحثون عنه، فلزمه الرجل ثم ذهب به إلى الشايقي، فأخبره الشايقي أنّ عليه أن يتوجَّه إلى مقرِّ عمله في الشرقيّة حسب الأوامر التي عنده، وأنّ الطائرة ستطير هذا اليوم إلى الشرقية، فأراد الشيخ حمود ـ رحمه الله تعالى ـ أن يحتال ليتخلص منه فأخبره أنه مدعوّ على الغداء هذا اليوم عند الشيخ سعود بن رشود رحمه الله تعالى، فقال له الشايقي: لن تُغادر الطائرةُ ما لم تكن فيها، ثمَّ ألزمه رجلًا يكونُ معه حتى يَفرغ من دعوة الشيخ سعود.

قال الشيخ حمود رحمه الله تعالى: ولقد لزمني الرَّجُل ملازمةَ الغريم لغريمه، حتى إنِّي لما دخلت الخلاء لقضاء حاجتي وقف الرَّجل عند الباب! ثمَّ لم يفارقه ذلك الرجل حتى ركب الطائرة متّجهًا إلى الشرقية.

من عباداته

كسائر علماء السَّلف عُني الشيخ حمود بشأن العبادة؛ محافظةً على الفرائض وتكثّرًا من النوافل، مع عناية بتمثّل السُّنة القولية والعملية في أداء العبادة.

فأمَّا الفرائض: فتبكير إليها، حتى عُرف عنه أنه قلّ أن يُؤَذِّن المؤذِّن إلّا وهو في المسجد، فما رُئي إلّا في الصفّ الأوَّل بل وخلف الإمام.

وأمَّا غير الفرائض: فلم يُفرِّط في النوافل القبلية ولا البعدية، وكان محافظًا على صلاة الضحى، وكذا قيام الليل، ولم يدعه إلى أن أضعفه المرض.

وأمَّا الوتر: فلم يتركه إلى آخر يوم من حياته، ناهيك عن كثرة تلاوته للقرآن الكريم.

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ على عناية بصيام التطوُّع، فما كان يدع صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وكذا صيام عشر ذي الحجَّة، وستة أيام من شوال، وعاشوراء، وغير ذلك.

ومن صادق همَّته في تعبُّده أنه صام الأيام البيض في اشتداد مرضه، فقال بعض أولاده: لِمَ تُجهِد نفسك وتحمِّلها ما لا تطيق وقد علمت أنّ الله يكتب للمرء حالةَ مرضه ما كان يعمله حال صحته وسلامته؟ فكان جوابه: كان الأولى أن تُعينوني لا أن تمنعوني، ثمَّ قال: سيُعينني الله على ذلك، وكان حريصًا على متابعة الحجّ والعمرة، وكان تلّاءًا لكتاب الله تعالى.

مرضه ووفاته

ابتدأ به المرض قبل وفاته بثلاث سنين تقريبًا، وكان يكتُم ذلك ويتحامل على نفسه حتى اشتدَّ عليه في السَّنة التي مات فيها إلى أن توفي في يوم الثلاثاء الخامس من شهر رجب سنة ثلاث عشرة وأربعمائة وألف (٥/ ٧/ ١٤١٣هـ)، وصُلِّي عليه بعد عصر يوم الأربعاء (٦/ ٧/ ١٤١٣هـ)، ولقد شَهِدتُ جنازته في جامع الراجحي في حيّ الرَّبوة.

وأحسب أنها أعظم جنازة شهدها الجامع، فلقد ازدحم الناس خارج المسجد ناهيك عن داخله.

وقد أمَّ الناس في الصَّلاة عليه سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى، ودُفن في مقبرة النسيم.

وكان عُمره عند وفاته ثمانية وسبعين عامًا وبضعة أشهُر.

من المبشرات المنامية

رأى الشيخ حمود في نفسه ورأى فيه غيرُه في حياته وبعد مماته رُؤًى طيِّبة تدلّ على بشائر عظيمة ومكانة رفيعة للشيخ حمود رحمه الله تعالى.

* فممَّا رآه الشيخ حمود في نفسه قوله: «رأيت أنِّي أمشي على رجلي فيما بين الميقات المسمَّى بالسيل وبين عين الزيمة، وأنا أريد أن أذهب إلى مكة، وكان في الطريق عقبة ليست بالمرتفعة، وكانت السيارات تمرّ عليها في أوَّل الأمر ثمَّ ترك المرور عليها بعد ذلك، وموضعها يبعُد عن المزمة بنحو خمسة كيلومترات من ناحية الشرق، فلمَّا صرت فوق العقبة المشار إليه كأنه قيل لي أو أنه وقع في نفسي أنّ فوقي في الهواء حبلًا مدلى من السَّماء، وأنه لا بدّ لمن يسير في هذا الطريق وهو يريد مكة أن يتعلق بهذا الحبل، فجعلت أعمل بيديّ في الهواء كما يعمل الغائص في الماء إذا أراد الخروج منه، وهو أن يرفع يديه جميعًا ثمَّ يضغط بهما على الماء ويكرِّر ذلك إلى أن يخرج من الماء، وهكذا فعلت في الهواء جعلت أرفع يديّ وأضغط بهما على الهواء وأرتفع فيه، حتى وصلت إلى حبل مُدَلّى من السَّماء، وإذا هو حبل مَتين بقدر ضخامة الذراع المتوسط، وطرفه منقسم إلى حبلين، في طرف كلِّ واحدٍ منها محجن كبير مثل المحاجن التي يُخرَج بها حفير الآبار، فتعلقت بالمحجنين كلّ واحد منهما في يد من يديّ، ولم أزل متعلقًا بهما وأنا أنزل إلى الأرض شيئًا فشيئًا نزولًا بطيئًا حتى وصلت إلى أرض سهلة مستوية، ليست مثل العقبة التي صعدت منها، فلمَّا وصلت إلى الأرض اضطجعت فيها، ورفع الحبل إلى السَّماء، فكأني أنظر إلى طرفيه يلتوي أحدهما على الآخر حتى غابا عني».

قال الوالد رحمه الله: «وتأويل هذه الرُّؤيا ـ والله أعلم ـ أنِّي أسير في أعمالي قاصدًا بها وجه الله تعالى، ويدلّ على ذلك قصدي في المسير إلى بيت الله وحَرَمه الذي جعله مثابةً للناس وأمنًا».

قال: «ومن تأويلها أيضًا أنِّي أكون متمسكًا بحبل الله المتين، وهو القرآن العظيم، وهو أَحَد طرفي الحبل، وطرفه الآخر سُنّة رسول الله ﷺ، ولا أزال متمسكًا بهما إن شاء الله تعالى إلى الممات، وهو ما رأيته من الاضطجاع بعد التمسُّك بالحبل المتين، وقد قال الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾[آل عمران: ١٥٤]، أي: مواضع مصارعهم التي يموتون فيها، فسمَّى مواضع القتل: مضاجع؛ لأنهم يضطجعون فيها على الأرض بعد القتل، وهكذا ما رأيتُه من الاضطجاع على الأرض بعد التعلّق بالحبل المتين، فإنّ تأويلَه هو الاضطجاع فيها بعد الموت، والله أعلم.

ويدلّ على ذلك من لغة العرب ما قاله ابن منظور في «لسان العرب»، فإنه ذكر قول الأعشى يخاطب بنته: «فإنّ لجنب المرء مضطجعًا»، ثمَّ قال: أي موضعًا يضطجع عليه إذا قُبِر مضطجعًا على جنبه» انتهى.

* ومما رُئي فيه في حياته: ما حدّث به عبدالله بن محمَّد الرَّشيد ـ وهو من سكان البلدة الجنوبية في الزلفي ـ أنّ أخاه أحمد رأى في منامه أنه قيل له: إنّ النبيَّ ﷺ قد جاء ـ يعني إلى بلادهم الزلفي ـ قال: فسألت أين هو لأذهب للسَّلام عليه؟ فقيل لي: إنه ذهب إلى التويجري ليسلِّم عليه.

* وقال الشيخ حمود: أخذني محمد بن حمود بن مدّ الله الخميس، وهو من أهل الروضة التابعة للعقدة البلدة المعروفة جنوبي الزلفي، وهذا الرجل ظاهره الخير والصلاح، وهو إمام أهل الروضة في الجمعة والجماعة، ورئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في البلدة الجنوبية في الزلفي وما يتبعها، أخبرني أنه رأى في المنام في أثناء سنة ١٣٨٦هـ أنه جالس على مكان

مرتفع ومعه ثلاثة رجال وهم يتذاكرون، قال: فمررتَ من عندنا وسلّمت، وكان مجيئُك من جهة الشمال، ومضيتَ نحو الجنوب. قال: فلما جاوزتنا إذا رجل قد وقف علينا ما أدري من أين جاء وعليه ثياب بيض، ولم أر منه إلّا من صدره فما تحت ذلك، فأما من صدره فما فوقه فلم أستطع أن أنظر إليه من مهابته، فقال لنا وأشار إليك: أتعرفون هذا الرَّجُل الذي مرَّ بكم؟ فقلت: نعم، هذا الشيخ حمود التويجري. فقال: هذا يُحشَر مع النبيِّين والصدِّيقين والشهداء والصالحين.

* ممَّا رُئي فيه حال مرضه: ما ذكره غيرُ واحد من أنّ الشمس كسفت بعد العصر والشيخ حمود ـ رحمه الله تعالى ـ قد تُوُفّي قبل غروب الشمس بثلث ساعة.

* وممَّا رُئي له بعد موته: ما رآه غير واحد من أنه رأى الشيخ حمود في منامه بعد موته فسأل عن مكانه في الجنة؟ فقال: في أعلى علِّيين. وفي رؤيا أخرى قال: في الفردوس الأعلى.

وقد رُثي ـ رحمه الله تعالى ـ ببعض القصائد، أكتفي بسياق مرثية أحسب أنها أجمل ما قرأت في مرثيات الشيخ رحمه الله تعالى، وهي للشيخ صالح ابن الشيخ حمود:

حَقَّ الفناءُ على المخلوقِ من عدم ... فلا بقاءَ لغيرِ الواحد الحَكَم

طفولةٌ وشبابٌ بعده هَرَمٌ ... ما أقربَ الطفلَ من موتٍ ومن

صَفْو الحَيَاةِ سَيَأتي بعدهُ كَدَرٌ ... وكُلُّ وَصل بها يُفضِي إلى صَرَم

كَمْ فَرَّقَ الموتُ بين الصَّحْبِ وانقَطَعَتْ ... بِهِ الأَواصِرُ بينَ الأهلِ والرَّحِمِ

من عَاشَ فوق الثّرى يَومًا سَيُودَعُ في ... بَطْنِ الثَّرى مُفْرَدًا للتّرْبِ والرُّضَم

وكُلُّ يوم مضَى يمضي بصُحْبَتِهِ ... قوافِل للبِلَى تَنْقَادُ للعدَم

فــأَينَ مِنَّــا رســولُ الله نَــشْهَدُهُ *** وهو الحَبِيْبُ إلى ذي الجودِ والكَرَم

كالــشمْسِ مُــشْرِقة تَهْــدِي وإن *** تَقُودُ ركب الضِّيا تَقْضِي على الظُلَم

قد ماتَ خَيْرُ عبادِ الله واخْترَمَتْ *** تِلْكَ المنايا رؤوسَ العِلم والحِكَم

وأَيْنَ صَاحِبهُ في الغَارِ مَنْ عُرِفَتْ *** خصَالُهُ وهْوَ في الهَيْجَاءِ كَالعَرَم

وأَيْنَ صاحِبُهُ الفاروقُ مَنْ فُتِحَتْ *** على يدَيهِ بِلادُ العُرْب والعَجم

وأَينَ عُثْمانُ ذُو النُّورَيْنِ مَنْ بُذِلَتْ *** أَمْوالُــهُ لعَتــادِ الجَيشِ والــدّهم

أيــنَ الفِــدائيُّ لمــا بــاتَ يرْقُبــهُ *** كفَّــار مَكَّــةَ لمْ يبخَــلْ ببــذْلِ دَم

بــبُردَةِ المــصُطْفَى يَلْتَــفُّ مُنْتَظِرًا *** لِسَيْفِ أَظْلَمِهِمْ في ظُلْمَةِ العَتَم

وأَيــنَ أَصْحابهُ والتَّــابعُونَ لهــم *** أَهلُ التُّقى والنَّدى والجُودِ والشِّيَم

مَضَوا إِلى أَجَلِ هُمْ بالغُوه وَقَدْ *** خُطَّتْ مَقَادِيرُهُمْ في اللَّوح بالقَلَم

ومُبْلِغ بوفَاةِ الشَّيْخ هــاتَفَني *** كَوَى فُؤادِي وَضَاقَ الصَّدْرُ عَن نَسَمِي

أَذَابَ قَلبِي لَمَا قَد صبَّ في أُذُني *** فقَولُ مَنْ جاءَني بالنَّعْي كالحُمَم

تركتَنـي بعـد أَن أَخبَرتِنـي وَجِمًا *** كأَنَّني لذُهولِ القَلبِ في حُلُم

نَفْسي تلِحُّ على تَكْذِيْبِ ما سَمِعَتْ *** أُذْني وَلو صدَقَ الرَّاوي ولمْ يهِم

لَئِنْ صَبَرْتُ فَعَيْنِي لا تُطَاوِعَني *** ودَمْعُها هطِلٌ في الخَدِّ كالدِّيَم

وإِنْ تَجَلَّدَتُ فالأَحْشاءُ قد صَلِيَتْ *** منْ نار فَقَدِ أَبِي سوطًا من الأَلَم

فِراقُــهُ مــؤلم أيــامَ صــحَّتِهِ *** فكيف لمَّا غدا بالمَوْتِ والعَدَم

كَمْ هَبَّ من نومه في الليل مُنْتَصِبًا *** من خاف من ربِّه في الليل لم يَنَم

إذا المُــؤذّنُ نــادى قــام مُمْتَثِلًا *** مُبــادرًا لبيــوت الله في العَــتم

عَهدي بِهِ لصلاة الفرضِ مُنْتَصِبًا *** واليومَ بين صفوف الناس لم يَقُم

في جامع حوى الآلافَ وامتلأتْ *** سطُوحُهُ ودروبُ الحيِّ بالأُمَم

كَمْ عَبْرَةٍ سُكِبَتْ كَمْ ألسُنٍ خَرِسَتْ صار الكلام بمُوقِ العينِ لا بفم
كَمْ دعوةٍ رُفِعَتْ لله قد سألتْ فِرْدَوسهُ ونعِيمْ الخُلدِ للعَلَم
إذا رأيتَ وجوهَ الناسِ شاحبةً ظَنَنْتَها في سياقِ الموْتِ من أَلَمِ
قد ارتدوا بِرِداء الحزن واتَّزروا بالصَّبرِ فهو دواء الحزن والسَّقَم
وتابعونَ لهُ ضاقَت بهِمْ طُرُقٌ كالحجِّ مَشْهَدُهُمْ كَالجَحْفَلِ العَرِم
والنَّعشُ لمّا بَدا للمُنزِلين غَدا مَنْ حَولَهُ في عِراكٍ جِدُّ مُحتَدِم
كَأنَّهُ مَرْكَبٌ والبحْرُ مضطَرِبٌ ومَوجُهُ لجَبٌ يعلو على القِمَم
إنْ تحْمَلوهُ على أكتافِكُمْ فَلهُ شأْنٌ بحَمْلِ لواءِ الدِّيْنِ للأُمَم
إنْ تُلْحِدُوا قَبْرِه فالقَبْرُ مُحْتَفَرٌ في الصَّدْرِ أسْقِيه من عَيْنيَّ بالسَّجَم
إنَّ التُّرَابَ وَإنْ أَخْفَى معَالِمَهُ فالعِلْمُ يَجْعَلُه حيا بكلِّ فم
آثارُهُ كُتبٌ بالعِلم قدْ زَخَرَتْ تدْعُو إلى أَفْضَلِ الأَخْلاقِ والقِيم
سَماهُ (والِدُه) اسمًا فَكانَ بهِ نعْمَ المُسَمَّى فَلَمْ يُذْمَمَ وَلَمْ يلَم
اليُتْمُ لمْ يثْنِهِ عنْ نَيلِ مأْربِهِ والسَّهْلُ لمْ يلْهِهِ عن شامِخ القِمَم
أَتْرابُهُ شُغِلوا باللّهْو وانْصرَفَتْ مِنْهُ العَزِيْمَةُ للكُرَّاسِ والقَلَم
وإنْ غَدوا لنَوادِي الحَيَّ في مَرَح غَدَا إلى شَيْخِهِ يَتْلو بلَا سَأَم
إنْ يفْقِدِ الوالدَ الحَاني فقد صُقِلتْ أَخْلاقُهُ بكتابِ الواحدِ الحَكَم
لَمْ يَصْبُ وَقتَ الصَّبا كلّا ولَا عَرَفْتُهُ آمِرًا بالعُرْفِ مُمْتَثلًا قَولًا لهُ قدْ نبا أَوْ جَاءَ بالوَخم
أَوقَاتُهُ عُمِرَتْ بالذّكْرِ مَا فَتَرَتْ ينْهى وينْأَى عنِ المَكْرُوه واللَّمَم
يَمضِي لحَاجتِهِ لا يسْتَعِينُ عَلَى منهُ الجَوارحُ منْ يتَم إلى هَرَم
لئن أضرَّ به سُقْمٌ أَلَمَّ به إنْجَازِ مطْلَبِهِ بالأهْلِ والخدم
ما كان يشكو من الأوجاع والسَّقَم

هُـوَ الـصّبورُ فَـما يـدري مُعَـاشرُه ... بـما يُقَـاسي مـن الأَمـراضِ والألم

قَــضَى الحَيــاةَ بتَعلــيم وتبــصِرةٍ ... للمُــسْلمينَ بــلا مَــنٍّ ولا سَــأَم

والمَـارِقينَ بـسيْفِ الحَـقَّ جَنَـدَلهُمْ ... فلا صَرِيْخَ لهُمْ مِـنْ سَـطْوَةِ القَلَـم

الدَّارُ مُنْذُ غُرُوبِ الشَّمْسِ مُوْحِشَةٌ ... وصَــمْتُهَا نــاطِقٌ بــالحُزْنِ والأَلَم

مُـصيبَةٌ قُـسِمَتْ في المُـسْلمينَ وَلَمْ ... تَقْصُرْ على أَقْرِبَاءِ الـشَّيْخ والـرَّحِم

تَنْكــرَتْ طُــرُقٌ كُنَّــا نَمُــرُّ بهــا ... تَبـدو كآبَتُهـا في الـسَّهْل والأكَـم

يا مِنبَرَ العِلم قد أَقفَرْتَ مـن عَلَـم ... كـان المُقَـدَّمَ في الهَيْجَـاءِ والقُحـم

إِني سَـأَذْكُرُ مَـا طَـالَ الزَمَـانُ أَبي ... حتَّى أُجاوِرَ أهْـلَ الـدَّودِ والـرِّمَم

يا رَبّ آمِنْهُ يـومَ الـرَّوع إذ وَقَفـتْ ... لَكَ الخلائِقُ بعدَ البَعْثِ مِـنْ عَـدَم

في ظِلّ عَرْشِـكَ يـا رَحْمَـانُ مَوْقِفُـهُ ... يُسْقَى مِنَ الحَوَضِ كأْسَ الجُودِ الكَـرَم

أَنِلْـهُ يـا رَبّ بـاليُمْنى صَحِــيَفَتُهُ ... حتَّى يَفُـوزَ بَيـوم الخَـوفِ والنَّـدَم

أرْجو الكَـريمَ لـهُ عَفْـوًا ومَغْفِـرَةً ... ورِفْعَـةً في جِنـانِ الخُلْـدِ والـنَّعَم

مَعَ النَّبِيِّـينَ في الفِـرْدَوسِ مَـسْكَنُهُ ... بَيْنَ القُصورِ وبـينَ الحُـورِ والخَـدَم

نظرات في مؤلفات الشيخ
حمود بن عبد الله التويجري

الأولى:

خلَّف الشيخ حمود ـ رحمه الله تعالى ـ عشرات المؤلفات ما بين صغير وكبير، وإليك مسردًا لأسماء تلك المؤلفات:

«إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة».

«إتحاف النبلاء بالرواية عن الأعلام الفضلاء».

«إثبات علوّ الله ومباينته لخلقه والرَّدّ على من زعم أنّ مَعيَّة الله للخلق ذاتية».

«الإجابة الجليَّة على الأسئلة الكويتية».

«إجابات على الأسئلة المقدَّمة من أفراد القوات الأجنبية».

«الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر».

«إعلان النكير على المفتونين بالتصوير».

«إقامة البرهان في الرَّدّ على من أنكر خروج المهدي والدجَّال ونزول المسيح في آخر الزمان».

«إقامة الدليل على المنع من الأناشيد الملحنة والتمثيل».

«الانتصار على من أزرى بالنبيِّ ﷺ والمهاجرين والأنصار».

«إنكار التكبير الجماعي وغيره».

«إيضاح المحجَّة في الردّ على صاحب طنجة».

«الإيضاح والتبيين لما وقع فيه الأكثرون من مشابهة المشركين».

«تبرئة الخليفة العادل والردّ على المجادل بالباطل».

«تتمة تاريخ ابن عيسى مع بيان بعض أنساب الأسر والأعيان».

«تحذير العاقل النبيل ممَّا لفّقه المفتونون بالتمثيل».

«تحذير الأمَّة الإسلامية من المحدَثات التي دعت إليها ندوة الأهلّة الكويتية».

«تحريم التصوير والردّ على من أباحه».

«تحفة الإخوان بما جاء في الموالاة والمعاداة والحبّ والبغض والهجران».

«تغليظ الملام على المتسرِّعين إلى الفتيا وتغيير الأحكام».

«تنبيه الإخوان على الأخطاء في مسألة خلق القرآن».

«تنبيهات على رسالتين للشيخ أبي بكر الجزائري».

«تنبيهات مهمَّة على أخطاء للصواف».

«التنبيهات على رسالة الألباني في الصلاة».

«تنزيه الأصحاب عن تنقّص أبي تراب».

«تنزيه القرآن والرَّسول والمؤمنين عن افتراء المفترين وطعن المبطلين».

«دفاع عن جماعة تحفيظ القرآن».

«دلائل الأثر على تحريم التمثيل بالشعر».

«الدلائل الواضحات على تحريم المسكرات والمفترات».

«الدلائل الصريحة في الرَّدّ على منكري الأحاديث الصحيحة».

«ذيل الصواعق لمحو الأباطيل والمخارق».

«رد على أباطيل».

«الردّ الجميل على أخطاء ابن عقيل».

«ردّ على كتاب الذخائر المحمدية».

«الرَّدّ على من أجاز حلق اللحية».

«الرَّدّ على من أجاز تهذيب اللحية».

الرَّدّ القويّ على الرِّفاعي والمجهول وابن علوي وبيان أخطائهم في المولد النبوي».

«الرَّدّ القويم على المجرم الأثيم».

«الرَّدّ على الكاتب المفتون».

«الرَّدّ على من استحل المعازف».

«رسالة إلى واعظ».

«الرِّسالة البديعة في الرَّدّ على أهل المجلّة الخليعة».

«كتاب الرُّؤيا».

السِّراج الوهَّاج لمحو أباطيل الشلبي في الإسراء والمعراج».

«الشهاب الثاقب لدمغ مزاعم الذين قالوا بإمكان الوصول إلى القمر والكواكب».

«الصارم البتّار للإجهاز على من خالف الكتاب والسنة والإجماع والآثار».

«الصارم الصقيل على هامة ابن عقيل».

«الصارم المشهور على أهل التبرُّج والسفور».

«الصواعق الشديدة على أهل الهيئة الجديدة».

«صيانة المساجد عن اللغو واللعب».

«عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن».

«كتاب في غربة الإسلام».

«فتح المعبود في الرَّدّ على ابن محمود».

«فصل الخطاب في الرَّد على أبي تراب».

«فوائد منتقاة من مجمع الأمثال للميداني».

«فوائد منتقاة من مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم !».

«فوائد منتقاة من مدارج السالكين لابن القيم رحمه الله».

«فوائد منتقاة من معجم الأدباء لياقوت الحموي».

«فوائد منتقاة من معجم البلدان».

«فوائد منتقاة من المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية».

«قصص العقوبات والعبر والمواعظ».

«قواطع الأدلة في الرَّدّ على من عوَّل على الحساب في الأهلّة».

«القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ».

«القول المحرَّر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

«مجموع يشتمل على رسائل ونصائح للعامة والخاصة».

«مقتطفات من الأمالي لأبي علي القالي».

«النصيحة والتحذير لمن تخشى عليه الفضيحة والتعيير».

الثانية:

غلبة الأسماء المسجوعة على مؤلّفات الشيخ حمود رحمه الله تعالى، وهذه سمة ظاهرة، ويقال:

أولًا: هذا المسلك مألوف عند أهل العلم.

وثانيًا: من فوائد سجع العنوان ما يلي:

- تقريب المضمون الإجمالي للكتاب.
- سهولة حفظ العنوان.
- إضفاء قوة معنوية على الكتاب وبخاصة في مجال الردود.

الثالثة:

غلبة منهج الرَّدّ في مؤلفاته رحمه الله تعالى، وهذا هو الأصل في مؤلفاته،

وأوضح دليل عنوان الكتاب، ومن أمثلة هذا:

«الرَّدّ القويم على المجرم الأثيم».

«الرِّسالة البديعة في الرَّدّ على أهل المجلة الخليعة».

«الرَّدّ القويّ على الرِّفاعي والمجهول وابن علوي».

«الرَّدّ على الكاتب المفتون».

«فصل الخطاب في الرَّدّ على أبي تراب».

إلى غير ذلك كما في مسرد المؤلفات، ولقد أخذ بعضهم هذا على الشيخ حمود، وللجواب عليه أقول هنا:

لقد غلب على بعض أهل العلم إفراد كثير من مصنفاتهم في مسلك مخصوص، وهذا أمر مألوف عندهم، ومن هذا الباب عُرِف عن غير واحد من أهل العلم كثرة مصنفاته في نوع معيَّن.

فمثلًا: الإمام ابن أبي الدنيا ـ رحمه الله تعالى ـ غلب على كثير من مصنفاته جانب الرَّقائق والأخلاق، مثل:

«التواضع والخمول».

«الحلم».

«الرِّقّة والبكاء».

«الصَّمت وآداب اللسان».

«الهمّ والحزن».

«الورع».

«القناعة والتعفف».

«محاسبة النفس».

إلى غير ذلك من هذا الباب.

وكذا الإمام الخطيب البغدادي ـ رحمه الله تعالى ـ كثير من مصنفاته في علوم الحديث وأهله، حتى قال ابن حجر رحمه الله تعالى: «وقلَّ من فنون الحديث إلّا وقد صنَّف فيه كتابًا مفردًا، فكان كما قال الحافظ أبو بكر ابن نقطة رحمه الله تعالى: كلّ مَن أنصف عَلِمَ أنّ المحدِّثين بعد الخطيب عيال على كتبه».

ومن مصنفات الخطيب في هذا الباب:

«الكفاية في علم الرِّواية».

«الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة».

«السَّابق واللاحق في تباعد ما بين وفاة راويين عن شيخ واحد».

«غنية الملتمس إيضاح الملتبس».

«الموضح لأوهام الجمع والتفريق».

«الجامع لأخلاق الرَّاوي والسامع».

«الرِّحلة في طلب الحديث».

«شرف أصحاب الحديث».

ومثلهما الإمام ابن رجب رحمه الله تعالى، فقد غلب على كثير من مصنفاته شروح بعض الأحاديث النبوية، فمن ذلك:

«جامع العلوم والحكم شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم».

«اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى».

«نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس».

«شرح حديث: ما ذئبان جائعان».

«شرح حديث: يتبع الميت ثلاثة».

وعودًا على بدء.. إذا تقرَّر هذا وعُرِفَ أنّ من مسلك بعض المصنِّفين قَصْرَ مصنفاته على نوع معيَّن من منهج التأليف فيقال هاهنا:

إنّ ما سلكه الشيخ حمود التويجري ـ رحمه الله تعالى ـ ليس بِدعًا من التصنيف، بل إنّ منهج الرَّدّ نفسه قد سلكه جمعٌ من أهل العلم، فمنهم المستقلّ ومنهم المستكثر، بل إنّ الناظر والمتصفِّح لتراجم العلماء وفهارس المكتبات يجد من كتب الرُّدود ما لا يحصيه ديوان كاتب.

وأكتفي هنا بذكر بعض المصنفات في الرُّدود لإمام كبير من الثلَّة المقدَّمة في العلوم النقلية والعقلية، أعني بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، فمن مصنفاته:

«مسائل الإسكندرية في الرَّدّ على الملاحدة والاتحادية» (وهي المعروفة بالسبعينية).

«الرَّدّ على أهل كسروان الرافضة».

«الرَّدّ على من قال إنّ الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين».

«الرَّدّ على منكري المعاد».

«الرَّدّ على ابن سينا».

«الرَّدّ على القدرية وعلى الجبرية».

«الرَّدّ على من لم يكفر فرعون».

«الرَّدّ على أهل الاتِّحاد».

«الرَّدّ على ابن عربي».

«إثبات الرُّؤية والرَّدّ على نفاتها».

«الرَّدّ على من قال بفناء الجنة والنار».

«بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية» (كشف فيه أسرار الجهمية وهتك أستارهم).

«منهاج السُّنّة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية» (ردّ فيه على ابن المطهِّر الرَّافضي).

«الرَّدّ على النصارى» سماه «الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح».

«الرَّدّ على البَكري».

«الصَّفَدية» (في الرَّدّ على الفلاسفة).

«الرَّدّ على القائلين بالكلام النفسي»[(١)].

وإذا عُلِمَ تنوُّع المصنِّفين في مسالك التصنيف وغلبة مسلكٍ على غيره فليعلم أنّ مسلك الرَّدّ على المخالفين بالعلم ولزوم أدب الخلاف من الأهمية بمكان؛ لِمَا فيه من كشف الشبهات والرَّد عليها والتنبيه على الشهوات والتحذير منها.

وممَّا ينبغي أن يقال في هذا المقام أيضًا:

منهج الرَّد جاء في القرآن الكريم في آيات كثيرة، منها:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ المائـــــدة: ٦٤ !. ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ البقرة: ١١١ .

وممَّا يُذكَر لزامًا في هذا المقام كلامٌ من نفائس شيخ الإسلام ابن تيميه ـ رحمه الله تعالى ـ في عظيم شأن الرُّدود على المخالفين، وحسبك بمن له يدٌ طولى في الرَّدّ على المخالفين قوليا وكتابيا، فكيف إذا كان المقصود شيخ الإسلام؟

ذكر ـ رحمه الله تعالى ـ أنّ «الفروع أمرُها قريب، ومن قلّد فيها أحدًا من العلماء المقلَّدين جاز له العمل بقوله ما لم يتقّن خطأه.

---

(١) وجميع ما ذكرته هنا مأخوذ ـ باختصار وتصرُّف ـ من «العقود الدُّرِّية» لابن عبد الهادي (ص٢٦-٦٧).

وأمّا الأصول: فإنِّي رأيت أهل البدع والضلالات والأهواء ـ كالمتفلسفة والباطنية والملاحدة وغيرهم من أهل البدع ـ قد تجاذبوا فيها بأزمّة الضلال، وبان لي أنّ كثيرًا منهم إنما قصد أبطال الشريعة المقدّسة المحمَّدية الظاهرة العليَّة على كلّ دين، وأن جمهورهم أدفع الناس في التشكيك في أصول دينهم...».

إلى أن قال رحمه الله تعالى: «فلما رأيت الأمر على ذلك بان لي أنه يجب على كلّ من يقدر على دفع شبههم وأباطيلهم وقطع حُجَجهم وأضاليلهم أن يبذل جهده ليكشف رذائلهم ويزيِّف دلائلهم ذبا عن الملة الحنيفية والسُّنة الصحيحة الجليلة» انتهى باختصار.

ومما يُذكَر في هذا المقام أيضًا كتاب «الرَّد على المخالف من أصول الإسلام» للشيخ بكر أبو زيد أثابه الله تعالى، وقد خصَّص المبحث السادس من كتابه لذِكر ثمرات القيام بهذه الوظيفة الشرعية ـ يعني وظيفة الرَّد على المخالفين ـ فذكر سبع ثمرات:

١- اتِّقاء المضارّ الناجمة عن السُّكوت.

٢- نشر السُّنّة وإحياء لما تَآكل منها.

٣- من أهم المهمَّات: نصح المخالف ونصح لجميع المسلمين.

٤- تنقية السَّاحة من المنكودين بالتعريف عليهم بما خالفوا به أمر السُّنّة والكتاب.

٥- أن الدفع للمخالفات المذمومة كفّ لبأسها عن المسلمين.

٦- دفع الإثم عن المسلمين بالقيام بهذه الفرض الكفائي.

٧- نيل شرف الرُّتبة بالقيام بهذه الحسبة للذبّ عن الشريعة[١].

وبيت القصيد ومحطّ الرَّكب هنا أنّ مسلك الرَّدّ على المخالفين والتفريق بين الخلاف في الأصول والخلاف في الفروع ولزوم آداب الخلاف هو ممّا عُني به أهل العلم سابقًا ولاحقًا، وشواهد ذلك كثيرةٌ، «وفي طلعة الشمس ما يُغنيك عن زُحَل»، فكتب الرَّد كثيرة وتقدّم ذِكر أمثلة يسيرة.

الرابعة: منزلة مصنفات الشيخ حمود عند أهل العلم:

أكتفي في هذا بثلاثة أمور؛ واحد منها يكفي في بيان قيمة تلك المصنفات فكيف بها مجتمعة؟

: تقديم كبار العلماء لكثير من تلك المصنفات، فمثلًا:

قدَّم الشيخ محمد بن إبراهيم ـ رحمه الله تعالى ـ لـ:

«الانتصار على من أزرى بالنبيِّ ﷺ والمهاجرين والأنصار».

«الرَّدّ على من أجاز حلق اللحية».

«الرِّسالة البديعة في الرَّدّ على أهل المجلة الخليعة».

«إيضاح الحجَّة في الرَّدّ على صاحب طنجة».

«الصواعق الشديدة على أتباع الهيئة الجديدة».

«تبرئة الخليفة العادل والرَّدّ على المجادل بالباطل».

وقدّم الشيخ ابن باز ـ رحمه الله تعالى ـ لـ:

«عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرَّحمن».

«إعلان النكير على المفتونين بالتصوير».

---

(١) انتهى من (ص٨٥-٨٦) باختصار، لكن لا بُدّ أن يفرّق بين الخلاف في مسائل الأصول وبين مسائل الفروع.

«دلائل الأثر على تحريم التمثيل بالشعر». ومما قاله الشيخ ابن باز ـ رحمه الله تعالى ـ في مقدمته: «رسالة قيِّمة كثيرة الفرائد جمَّة الفوائد، عالجتْ كثيرًا من مشاكل المجتمع الإسلامي علاجًا دقيقًا صادقًا على ضوء الأدلة من الكتاب والسُّنة».

«الإيضاح والتبيين لما وقع فيه الأكثرون من مشابهة المشركين».

«فصل الخطاب في الرَّدّ على أبي تراب».

«الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر».

«الصارم البتَّار للإجهاز على من خالف الكتاب والسنة والإجماع والآثار».

«فتح المعبود في الرَّدّ على ابن محمود».

«قواطع الأدلة في الرَّدّ على من عوَّل على الحساب في الأهلة».

«إثبات علوّ الله ومباينته لخلقه والرَّدّ على من زعم أنّ معيَّة الله للخلق ذاتية».

«إنكار التكبير الجماعي وغيره».

وقدّم الشيخ عبدالله بن حميد ـ رحمه الله تعالى ـ لـ:

«ذيل الصواعق لمحو الأباطيل والمخارق».

«فتح المعبود في الرَّدّ على ابن محمود».

«إنكار التكبير الجماعي وغيره».

وقدّم الشيخ عبدالرزاق عفيفي ـ رحمه الله تعالى ـ لـ:

«إعلان النكير على المفتونين بالتصوير».

وقرّض الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ لـ:

«إثبات علوّ الله ومباينته لخلقه والرَّدّ على من زعم أنّ معيَّة الله للخلق ذاتية».

وقد أخبرني الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ بردِّه على أحد الناس، ورأيت أوراقًا في يد الشيخ وسمعت يسيرًا ممّا كتب فقلت له: ألن تنشر هذا الرَّدّ؟ فقال: عندكم في الرِّياض الشيخ حمود التويجري منجنيق أهل السنة، كلِّموه أن يردّ عليه. (هذا معنى ما سمعته من الشيخ رحمه الله تعالى).

وقد حدّثني الشيخ علي حسن بن عبدالحميد ـ من مشاهير طلبة الشيخ الألباني ومن المقرَّبين إليه ـ أنّ الشيخ الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ كان يعظِّم ردود الشيخ حمود ويفخِّمها ويقول: بأنّ ردودَه فيها نصرٌ للسُّنّة وأهل السُّنة.

طباعة بعض الدوائر الرَّسمية الشرعية الكبرى لبعض رسائله، مثل: دار الإفتاء، وقد طبعت عددًا من مؤلَّفاته.

إحالة بعض كبار العلماء كتبًا إلى الشيخ حمود ليتولى الرَّدّ عليها.

الخامسة: سعة ثقافته وتنوُّع معارفه:

وهذا الأمر قد لا يعرفه الكثير عن الشيخ حمود رحمه الله تعالى، ولكن من نظر في سائر كتبه رأى شواهد كثيرة تفصح بجلاء عن سعة إطلاعه.

السادسة:

الناظر في كتب الشيخ حمود ـ رحمه الله تعالى ـ يجد فيها مادَّة علميَّة تعين وتخفف على الباحث كثيرًا، وهذا يتّضح بجلاء في كبار كتبه مثل: «إتحاف الجماعة» و«الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر».

فالكتاب الأوّل: لو قلت: إنه أشبه بمعجمٍ لأشراط الساعة، فأحسب أني لم أُبعِد النجعة، زد على ذلك أيضًا ما ضمَّنه الشيخُ من الرُّدود والفوائد والنقول.

ومثل ذلك في الكتاب الآخَر: فقد أبدى الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ فيه وأعاد واستقصى كثيرًا من الأخبار في شأن المهدي المنتظر، وبنظرة إلى فهارس

الكتابين يعرف الناظر الشمولية في تأليفهما.

السابعة:

تنوُّع ردود الشيخ حمود رحمه الله تعالى؛ تارةً في الرَّدّ على فتن الشبهات وتارةً على فتن الشهوات وتارةً على آراء فقهية في العبادات أو المعاملات.

والناظر في عموم كتبه وطول نَفَسه في البحث والتحقيق والكتابة مع قِلّة من يقوم بالرَّدّ على المخالفين ـ وبخاصة في أوقات مضت ولعله أبرز من عرف بالردود على المخالفين ـ يظهر له تميّز هذا الشيخ وصبره ومصابرته في الدفع والدِّفاع عن أحكام الشريعة، وأحسب أنه مرابط على ثغور كثيرة في حماية قلعة الشريعة.

وقبل ختام هذا المبحث أقول:

إنّ تلك الرُّدود التي كتبها الشيخ حمود ـ رحمه الله تعالى ـ قد مضى على طباعة بعضها عقود من الزمن، فمثلًا كتاب «إيضاح المحجة» طبع عام ١٣٨٥هـ قبل أكثر من أربعين سنة، وقبله كتاب «إنكار التكبير الجماعي وغيره» فرغ منه عام ١٣٧٩هـ وطبع عام ١٣٨١هـ.

وآخر ردود الشيخ قُبَيل وفاته بزمن يسير، فقد توفي في عام ١٤١٣هـ وفتحت بعده أبواب وكُسِرت أخرى ولبس قوم ثياب العلماء فتعالموا فأفسدوا ولم يصلحوا وفرَّقوا ولم يجمعوا وهدموا ولم يبنوا... وتطاول آخَرون على أحكام الشريعة فحسَّنوا بعقولهم وقبَّحوا فجعلوا عقولهم حاكمةً قائدةً وأحكامَ الشريعة محكومة مقودة!

ونشط أرباب فتن الشبهات والشهوات في بثّ شُبَهِهم وشهواتهم وسخَّروا أجهزة الإعلام من المرئيّ والمسموع والمقروء.

فرحم الله تعالى الشيخ حمودًا على غَيرته وديانته وحرصه على الدفاع عن

الإسلام والسُّنة، وجعل الفردوس الأعلى مثواه، وبارك في ذرِّيته وأحفاده.

وإنّا على فراقك يا شيخَنا لمحزونون، وبخاصَّة عند رؤية كتُب الملبِّسين والمضلِّلين.

واللهَ أسأل أن يوفِّق مشايخَ العلم وطلبتَه ليزدادوا حرصًا وهمَّةً في حراسة قلعة الشريعة.

منهج الشيخ حمود ـ رحمه الله تعالى ـ في الرد على المخالف من خلال كتابه «إيضاح المحجة في الرد على صاحب طنجة»

قبل بيان منهجه في هذا الكتاب أقدِّم بتعريف عن الكتاب:

١- اسم الكتاب كما هو مُدَوَّن أعلاه، والشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ يعمد إلى السَّجع في أغلب عناوين كتُبه، وله سلفٌ في ذلك من المتقدِّمين والمتأخِّرين، وقد تقدّم الكلام عن ذلك في النظرة الثانية في المبحث السابق.

٢- طُبع الكتاب في مؤسَّسة النور للطباعة والتجليد بالرِّياض، والكتاب من مطبوعات دار الإفتاء، ويوزع مجانا في ذلك الوقت.

٣- الكتاب من القطع المتوسِّط تقريبًا (١٩سم × ١٣,٥سم)، وعدد صفحاته مع الفهرس (١٩٨ص).

٤- قدّم للكتاب الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله تعالى بتاريخ ١٤/ ٥/ ١٣٨٥هـ، ومما قاله في أثناء مقدِّمته: «... فوجدتُه ردا كافيًا شافيًا، فجزى الله الشيخ حمودًا خيرًا وزاده من التصدِّي لنُصرة الدِّين وردّ شبهات المبطلين » اهـ.

بعد هذا أقول:

من خلال قراءتي لكتاب «إيضاح المحجَّة» توصَّلتُ إلى منهج الشيخ حمود رحمه الله تعالى، ومن خلال نظرة إجمالية لسائر ردوده ظهر لي سلوك الشيخ لمنهج معيَّن في الرَّدّ، وقد قصرت الحكم على منهجه من خلال كتابه

«إيضاح المحجَّة» لأنني أعدت النظر فيه مرارًا طلبًا لمعرفة منهجه في الرَّدّ، فظهر لي ما يلي:

(١) بيان المراد من الرَّدّ:

سَلَكَ ـ رحمه الله تعالى ـ مسلك السَّلف في ردودهم التي جعلوها تنتظم في طرُق إنكار المنكَر الذي هو من باب النُّصح للمسلمين وتحذيرهم من تلبيس الملبِّسين، فاسمع إلى قوله رحمه الله تعالى: «... وقد نبَّهتُ على ما لا يَسَعُ السُّكوت عنه من تلك الأخطاء خشيةَ أن يغترَّ بها من قلَّ نصيبُه من العلم النافع».

(٢) التوثّق والتثبت:

فلم يكتف بالسَّماع أو كتابة آخرين عن الكتاب المردود عليه، فانظر قوله في فاتحه ردِّه: «... أمَّا بعد؛ فقد وقفت على مؤلَّف... فرأيتُ فيه أخطاء كثيرة...».

(٣) ذِكر المآخذ إجمالًا حتى يتصوّر القارئ فحوى مسلك المردود عليه:

فقد قال في أوَّل كتابه: «فرأيت فيه أخطاء كثيرة؛ من تأويل الآيات والأحاديث على غير تأويلها، ومن وقيعة في أنصار الدِّين، ومدح وإطراء لأعداء الدِّين، إلى غير ذلك من الأخطاء التي شوَّه بها كتابه».

(٤) وضوح الأسلوب في الكتابة وعدم التكلف في العبارة.

(٥) الأمانة في النقل:

ومن أبرز الشواهد المتكرِّرة نقلُه لنصِّ كلام المردود عليه نقلًا حرفيا مع تحديد رقم الصفحة قبل أن يبدأ الرَّد عليه، بل وبيانه رقم طبعة الكتاب المردود عليه، وسَنَة الطبع وذِكر اسم المطبعة.

قال رحمه الله تعالى: «... وما أشير إليه من صفحات الكتاب فالمراد بذلك الطبعة الثانية سنة ١٣٧٩هـ مطبعة محمد عاطف».

وهذا من دقّته وحرصه، فقد يُطبَع الكتاب المردود عليه مرَّةً أو مرَّات فتختلف أرقام الصفحات بحسب ما يطرأ على الكتاب من زيادة أو نقص أو أمور الطباعة، ولذا لما كتب الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ كتابه «الاحتجاج بالأثر» طُبع الكتاب المردود عليه طبعةً ثانية قبل طباعة الشيخ لكتابه، ولما رأى الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ اختلاف أرقام الطبعة الأولى عن الأخرى تدارك هذا الأمر ونبَّه عليه في مقدّمة كتابه «الاحتجاج بالأثر» إزالةً للّبس ودفعًا للوهم، فقال ـ رحمه الله تعالى ـ ما نصّه: «تنبيه: ليعلم طالب العلم أنّ ابن محمود قد طبع رسالتَه في إنكار المهدي طبعةً ثانيةً وغيَّر فيها بعض التغيير وقدّم فيها وأخَّر، وقد كتبت هذا الرَّدّ على الطبعة الأولى التي صدرت في أول سنة ١٤٠٠ من الهجرة، وقد أشرت إلى أرقام الصفحات منها قبل أن تخرج الطبعة الثانية المطبوعة في مطابع قطر الوطنية وكان خروجها بعد الأولى بنحو سنة، فمن أحبَّ أن يُراجع شيئًا مما نقلته من رسالة ابن محمود فليراجع الطبعة الأولى المطبوعة في مطابع علي بن علي بالدوحة، وكلّ من الطبعتين لم يذكر فيها تاريخ الطبع، والمقصود من ذلك ومن التقديم والتأخير في الطبعة الثانية لا يخفى على اللبيب، والله الموفق».

(٦) رجوعه إلى المصادر الأصلية:

وقد ظهر لي هذا في أثناء تخطئته للمردود عليه في النقل.

ففي (ص٨٧) نقل قول المردود عليه: «فروى الطبراني في «الكبير» من مرسل عبد الله بن رباح...». ثمَّ نبَّه الشيخ رحمه الله تعالى (ص٨٩) بقوله: «صوابه «عبدالله بن وراح» براء ثقيلة ثمَّ حاء مهملة، هكذا ضبطه الحافظ ابن حجر في «الإصابة»».

وفي (ص١١٠) نقل حديثًا ذكره المردود عليه ونصّه: «إذا ظهر القول وخزن العمل واختلفت الألسن...». ثمّ نبّه رحمه الله تعالى (ص١١١) فقال: «الحديث الذي أورده قد وقع فيه تحريف في الكلمة التي استدلّ بها على تعلّم اللغات واختلاف الألسن، والظاهر أنه نقله من «مجمع الزوائد» المطبوع في القاهرة في سنة ١٣٥٣ من الهجرة النبوية فإنه فيه كذلك، وهو تحريف بلا شك إمَّا من الذين طبعوا الكتاب وإمّا من بعض النسَّاخ».

(٧) كثرة إيراد النصوص من القرآن والسنة:

ففي هذا الكتاب زادت الأحاديث النبويّة التي ذكرها الشيخ حمود ـ رحمه الله تعالى ـ على مائة حديث، وهذا يدلّ دلالةً واضحةً على أمور؛ منها: أنّ النصوص الشرعية هي المورد الأصلي إليه يرد وعنه يصدر، ومنها: عنايته بدواوين السنة قراءةً واستحضارًا.

(٨) العناية بعلم الحديث روايةً:

وذلك من حيث النصّ على ثبوته أو نقل تصحيح بعض أهل العلم له أو تضعيفه:

كقوله (ص٦): «وقال الترمذي: هذا حديث حسن».

و(ص١١): «قال الترمذي: هذا حديث غريب».

و(ص١٤): «قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في تلخيصه».

و(ص٥٨): «هذا الحديث ضعيف؛ لأنه من رواية رجل من بني سليم عن جدِّه، ورجل من بني سليم مجهول».

و(ص٨٨): «حديث عبدالله بن الحارث بن جزء ضعيف جدا؛ لأنّ في

إسناده حسَّان بن غالب، قال الدار قطني: ضعيف متروك، وكذا قال الذهبي والهيتمي: إنه متروك، وذكره ابن حبان فقال: شيخ من أهل مصر يقلب الأخبار ويروي عن الأثبات الملزقات لا تحلّ الرِّواية عنه إلّا على سبيل الاعتبار، وفيه أيضًا ابن لهيعة ضعيف، وعلى هذا فليس هذا الحديث بشيء ولا يعتدّ به».

(٩) عنايته بالآثار عن الصحابة والتابعين:

فالكتاب على صغره ذكر فيه الشيخ عشرات الآثار.

(١٠) الاستشهاد بكلام أهل اللغة:

كقوله (ص١٦): «وهكذا قال ابن الأثير وابن منظور».

وقوله (ص٤١): «قال الجوهري: الرَّجم أن يتكلّم الرجل بالظن، قال تعالى: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ الكهف: ٢٢، وقال الرَّاغب الأصفهاني: ويستعار الرَّجم للرَّمي بالظن والتوهّم».

وقوله (ص٦٨): «وقد قال أهل اللغة في الانكدار بمثل ما قاله المفسِّرون في ذلك»، ثمَّ ساق بعض كلامهم.

وقوله (ص١٠٩): «قال الجوهري... وقال ابن منظور... وقال الأعرابي...».

(١١) من قوَّته في الرَّد سلوكه مسلك التنزّل أو الافتراض مع المردود عليه:

وهذا مما يُغلِق على المردود عليه ما يمكن أن يتشبَّث به.

اسمع إلى قوله في (ص٥٨) بعد ما ضعّف حديثًا احتجَّ به المردود عليه، قال رحمه الله تعالى: «وعلى تقدير صحَّته فليس المراد به آبار البترول بخصوصها...».

وقوله (ص٧٣): «... لا يخفى أنّ الحديث ضعيف، ولو صحَّ لكان محمولًا على ظاهره».

وقوله (ص٨٨): «... لو قدّرنا صحَّة هذا الحديث فهو عامّ لسلاطين الفتن في هذا الوقت ولمن كان قبلهم..».

(١٢) الاستشهاد بالشعر:

كما في (ص١٤٢، ١٥٢، ١٧٤).

(١٣) عزو النقول من حديث أو أثر مهما كثُرت إلى مصادرها.

(١٤) السَّبر والتقسيم:

وهذه صبغة ظاهرة في أغلب أو جميع ردود الشيخ رحمه الله تعالى، فهو يورد قول المردود عليه ثمَّ يقسِّم الرَّدّ إلى وجوه قد تقلّ وقد تكثر بحسب ما يقتضيه المقام، تارةً من ثلاثة وجوه (ص٣٣)، وتارةً من أربعة وجوه (ص١٤-١٥)، وتارةً من ستة وجوه (ص٩-١١)، وتارةً من عشرة وجوه (ص٤٩-٥٧، ص١١٦-١٣١).

وهذا المسلك ـ أعني تقسيم الرُّدود إلى وجوه ـ فيه منافع كثيرة، منها:

* وضوح الخطأ مع وضوح وجه الصواب.
* سهولة ضبط أو استحضار المسألة المردود عليها مع الرَّدّ.
* كثرة البراهين تزيد الباطل وهْنًا والحقَّ قوَّةً.

وهذا المسلك ـ تقسيم الرَّد إلى وجوه ـ مألوف عند أهل العلم.

ومن باب المثال انظر كتاب «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى» للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، فقد قال في (ص٤٧): «اثنا عشر وجهًا تدلّ على أنه ﷺ مذكورٌ في الكتُب المنزلة».

وانظر قوله (ص٥١-٨٧): «وذلك يظهر من وجوه»، ثمَّ ساق تسعةً وثلاثين وجهًا.

وإن تعجب من كثرة سياقه لهذه الوجوه فأعجبُ منها ما ذكره في كتابه «أعلام الموقِّعين»[1] أثناء ردِّه على المقلِّدين، فقد ساق واحدًا وثمانين وجهًا، رحمه الله تعالى وأجزل مثوبته.

(١٥) تضمين الكتاب لبعض المسائل التي يستلزمها الرَّدّ:

لكنه لا يستطرد فيها؛ لأنّ المقام ليس مقام استطراد بل مقام اختصار، ومع ذلك يجعل القارئ على دراية شبه إجمالية بالمسألة المتحدَّث فيها.

انظر كلامه (ص٧٦-٧٩) عن الكذب.

و(ص٨٣-٨٦) عن زيارة قبر النبيِّ ﷺ.

و(ص١٢٥-١٢٩) عن صُوَر من إفساد المنافقين.

و(ص١٦٨-١٧٥) عن مسائل متعلقة بالأذكار.

و(ص١١-١٢) تفسير القرآن بالرَّأي.

و(ص١٧٧-١٧٨) عن السُّبحة.

و(ص١٩٢-١٩٣) عن حكم لعن المعيَّن.

و(ص١٤٠-١٦٦) بحث تاريخي عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وقد أطال النفَس فيه لشناعة قول المردود عليه في دعوة الشيخ، وقد نقل الشيخ حمود ـ رحمه الله تعالى ـ كلامًا عن علماء من غير نجد مَدَحُوا دعوة الشيخ نثرًا ونظمًا، كالصنعاني وملّا عمران ومحمَّد رشيد رضا، بل ومن كتّاب ومؤرِّخين من غير المسلمين أشادوا بدعوة الشيخ، وقد أحسن الشيخ حمود ـ رحمه الله تعالى ـ صنعًا في سياقه لهذه النقول من غير علماء نجد بل ومن غير المسلمين؛ لأنّ في صنيعه هذا زيادةً في قوة الحجَّة وبيان المحجَّة، فلو

---

(١) (٢/٢٠٨-٢٧٥).

ساق شهادةَ علماء من نجد ربما بل لن يقبلها المردود عليه ومن وافقه.

(١٦) توظيف الشيخ حمود لثقافته العامَّة في دحض القول الباطل إمعانًا في كشف عواره:

وهذا الأمر لا يتمكّن منه إلّا من كان على دراية ثقافية واتّساع معرفيّ، وللشيخ حمود ـ رحمه الله تعالى ـ نصيبٌ وافرٌ من ذلك، ومن تصفّحَ كتُبه وجد مصداق ذلك.

وهذا الكتاب «إيضاح المحجَّة» على صغره قد تضمَّن دلائل كثيرةً تدلّ على اتّساع دائرة الشيخ المعرفية وثقافته وإدراكه لواقعه بعلم وبصيرة وليس بعاطفة مثيرة عريّة من العلم الشرعي.

ومن شواهد ما سبق ـ من سعة ثقافته وتنوّع معارفه ـ:

كلامه عن الاشتراكية وتأثيرها في مسار أحداث من تلوّث بها (ص٩٥-١٠٩).

وكلامه (ص١٧٩-١٨٠) عن نظرية داروين، وقد بيَّن تعريفها وآثارها.

وكلامه (ص١٨٤) عن المستشرقين وعداوتهم للإسلام وعلاقتهم بالصوفية.

وكلامه (ص١٨٥) عن علاقة الإفرنج بالصوفية.

من سديد أقواله رحمه الله تعالى
في بعض كتبه

من المألوف في كتُب التراجم ذِكر شيء من أقوال المترجَم له، سواء كان ذلك عرضًا في أثناء الترجمة أو عقد مبحث مستقلّ لذلك، وأصبحت بعض تلك الأقوال دارجةً على ألسنة كثير من الناس، ناهيك عن كثرة الاستشهاد بها في مباحث العلم.

ومن هذا المنطلق انتقيت قليلًا من كثير من سديد كلام الشيخ حمود رحمه الله تعالى، فمن أقواله:

* «فأما لزوم السُّنّة والوقوف عند حدود الشريعة المطهَّرة فليس بشذوذ ولو كان المتمسِّكون بالسُّنّة أقلَّ الناس فهم الجماعة في الحقيقة وهم السَّواد الأعظم، وغيرُهم هم أهل الشذوذ والمخالفة ولو كانوا أكثر الناس»(١).

* «وليست الجماعة والسَّواد الأعظم جمهور المنتسبين إلى الإسلام كما قد يتوهَّمُه من قَلّ نصيبُه من العلم النافع نظرًا منهم إلى ظاهر اللفظ، وإنما الجماعة والسَّواد الأعظم مَن كان على مثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابُه رضي الله عنهم ، وهم الفرقة الناجية من ثلاثٍ وسبعين فرقة من هذه الأمّة»(٢).

* «إذا كان عقل المرء فاسدًا فلا شكّ أنه يتصوَّر الحقّ في صورة

---

(١) «الرَّدّ على من أجاز حلق اللحية» (ص٢٦).
(٢) المرجع السابق (ص٢٧).

الباطل»[١].

* «المنطق السَّليم والعقل السليم الذي يدور مع الحقّ حيثما دار فإنه لا يتوقف عن قبول ما جاء في كتاب الله تعالى وما تواتر عن رسول الله ﷺ في نزول المسيح في آخر الزمان، وأمّا المنطق المنحرف والعقل الفاسد فإنه يتوقف عن ردّ الحقّ وعدم قبوله، ولا عبرة للعقول الفاسدة ولا بأهلها»[٢].

* «من علم أنّ الله على كلِّ شيء قدير وأنه ما شاء كان، وعلم أيضًا أنّ رسول الله ﷺ لا يقول إلّا الحقّ ولا يخبر إلا بالصدق لم يشك في شيء ممّا أخبر به رسول الله ﷺ ، فيجب على المسلم أن يؤمن بكلِّ ما جاء عن الله تعالى وما جاء عن رسول الله ﷺ ، ولا يعترض على أخبار الصادق المصدوق بـ«كيف؟» و«لِمَ؟» وغير ذلك من أنواع الاستفهام الذي يدلّ على الشكّ فيما أخبر به رسول الله ﷺ وعدم إيمان به. وقد قال الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[النساء: ٦٥][٣].

* «كلّ ما أخبر به رسول الله ﷺ من المغيَّبات ممّا كان فيما مضى وما سيكون في المستقبل فالإيمان به داخل في ضمن الإيمان بالرسول ﷺ ، وذلك من أعظم أصول الإيمان»[٤].

* «الرُّجوع إلى الصواب نُبل وفضيلة، كما أنّ التعصُّب للأخطاء نقص ورذيلة»[٥].

---

(١) «إقامة البرهان في الرَّدّ على من أنكر خروج المهدي والدجال ونزول المسيح في آخر الزمان» (ص١١).

(٢) «إقامة البرهان» (ص١١).

(٣) «إقامة البرهان» (ص١٤-١٥).

(٤) «إقامة البرهان» (ص٢١-٢٢).

(٥) «فتح المعبود في الرَّد على ابن محمود» (ص٩).

* «ومن أعظم ما يُبتلَى به المرء إعجابه بنفسه وترفّعه على أقرانه وبَني جنسه، قال ابن عبدالبرّ: وقال ابن عبدوس: كلّما توقر العالم وارتفع كان العجب إليه أسرع إلّا من عصمه الله بتوفيقه وطرح حبَّ الرِّياسة عن نفسه»[١].

* «التشبه بأعداء الله تعالى واتباع سننهم والأخذ بأخذهم من أعظم العوامل في هدم الإسلام ومحو السُّنن النبويَّة واطِّراح المناهج السَّلفية والمروءات والشيم العربية والاعتياض عن ذلك كله بأدناس المدنيّة الإفرنجية»[٢].

* «ومازال الشيطان يُعَظّم عندهم أمرَ القبور ويزيِّن لهم الغلو في أصحابهم ويأمرهم بالتوسُّل بهم إلى الله في قضاء الحاجات وتفريج الكُرُبات وإغاثة اللهفان ويوحي إليهم أنهم يَنفعون ويَضرُّون ويُقرِّبون عابديهم إلى الله زُلفى ويشفعون لهم عنده حتى تمكنت وساوس الشيطان ووحيه وتزيينه من قلوبهم ورسخت فيها، فصار افتتانهم بالقبور أعظمَ من افتتان اليهود والنصارى بقبور الأنبياء والصالحين، وما تركوا شيئًا ممَّا نهى عنه الرسول ﷺ وحذّر من فعله ولعن فاعله إلّا وقد ارتكبوه وشاقّوا الله ورسوله، فإنه ﷺ نهاهم أن يتّخذوا القبور مساجد كما اتّخذها اليهود والنصارى فعاندوه وبَنَوا عليها المساجد وسمّوها مَشَاهد! ثمَّ آلَ الأمر بكثير منهم إلى أن شرعوا للقبور حجا ووضعوا لذلك مناسك وكسَوا القبور كما تُكسَى الكعبة وجعلوا حول بعض الضرائح المعظّمة عندهم مَطافًا يطوفون فيه على القبر كما يطوف المسلمون بالكعبة! وسمَّوا ذلك المطاف حَرَمًا يريدون أن يضاهئُوا بأوثانهم البيت العتيق الذي جعله الله مثابةً للناس وحرمًا آمنًا.

---

(١) «فتح المعبود» (ص١٣).

(٢) «الإيضاح والتبيين لما وقع فيه الأكثرون من مشابهة المشركين» (ص١٨).

وقد حدّثني غيرُ واحد ممَّن رآهم يطوفون بالقبور ويتضرَّعون إلى أصحابها ويسألونهم قضاء الحاجات وتفريج الكرُبات وإغاثة اللهفان!!»[١].

* «أقبح من فعل المنافقين ما يذكر عن بعض أهل زماننا أنهم قالوا: إنّ العمل بالشريعة المحمَّدية يؤخِّرهم عن اللحاق بأمم الإفرنج وأضرابهم من أعداء الله تعالى!! وهذه رِدّة صريحة، والله المسؤول أن يُقَيِّض لأهلها ولكل من لم يرض بأحكام الشريعة المحمدية من يعاملهم معاملة أبي بكر الصديق رضي الله عنه لإخوانهم من قبل»[٢].

* «أصل الاشتراكية الخبيثة أنها موروثة عن زرادشت ومزدك وأتباعهما من زنادقة المجوس وفجَرَتهم، ويعلم أيضًا رجحان عقل كسرى أنوشروان وعقول أتباعه من الأعاجم الكفار على عقول طغاة الاشتراكيِّين في زماننا، مع كونهم ينتسبون إلى الإسلام وإلى العربية وهم بعيدون كل البُعد عنهما! فكسرى مع كفره أعقل وأعدل وأحسن سياسة ونظرًا للرَّعية من طغاة الاشتراكيين»[٣].

* «من التشبه بأهل الجاهلية ما افتتن به بعض المنتسبين إلى الإسلام في زماننا من الدعوة إلى القومية العربية والاعتياض بها عن الأُخُوَّة الإسلامية وعن الدعوة إلى سبيل الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، وهذه دسيسة من دسائس الإفرنج ومكيدة من مكائدهم أرادوا بها تفريق شمل المسلمين وإيقاع العداوة والبغضاء بينهم، وأول ما فعلوا ذلك في بلاد الشام منذ أكثر من ستين سنة على أيدي دعاتهم المبشِّرين ليفصلوا الترك عن العرب، ذكر ذلك بعض المؤرِّخين، وذكر أنهم عقدوا

---

(١) «الإيضاح والتبيين» (ص٢١-٢٢).
(٢) «الإيضاح والتبيين» (ص٢٤-٢٥).
(٣) «الإيضاح والتبيين» (ص٢٩).

لذلك مؤتمرًا في باريس منذ أكثر من خمسين سنة، وكثرت بذلك الجمعيات العربية وتعدّدت الاتّجاهات.

قلت: ولم تزل الدعوة إليها تزداد والافتتان بها ينمو من ذلك الحين إلى زماننا هذا»[١].

* «وقد زاد الحمق والغرور ببعض أهل الجهل المركب في زماننا فزعموا أنّ القومية العربية هي روح الإسلام! وأنّ الدعوة إليها دعوةٌ إلى روح الإسلام!! وهذا خطأ كبير وضلال بعيد وجناية عظيمة على الإسلام حيث ألصقوا به ما يذمّه الإسلام وينهى عنه من دعوى الجاهلية والتعزّي بعزائها، وقد قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾الحجرات: ١٣ [٢].

* «ولا يخفى على ذي علم ما تشتمل عليه القومية العربية من ظلم عظيم، وهو التفريق بين أجناس المسلمين من العرب وغير العرب وإيقاع العداوة والبغضاء بينهم وقطع الأخوّة الإسلامية التي عقدها الله ورسوله بينهم، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ ﴾الحجرات: ١٠. وقال تعالى: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ ﴾التوبة: ١١. وقال تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا ﴾آل عمران: ١٠٣. وثبت عن النبي ﷺ من عدّة أوجه في الصحيحين وغيرهما أنه قال: «**المسلم أخو المسلم**»»[٣].

---

(١) «الإيضاح والتبيين» (ص٤١).

(٢) «الإيضاح والتبيين» (ص٤٢).

(٣) «الإيضاح والتبيين» (ص٥١).

* «إذا عُلِم أنّ الأحاديث الصحيحة وغير الصحيحة كثيرة جدا وأنّ أهل العلم كانوا يتلقّونها بالقبول وإن كانت غير صحيحة، فهل يقول عاقل له أدنى علم ومعرفة: إنه يسوغ ردُّها أو ردّ شيء منها وعدم الاحتفال بها ـ أي عدم المبالاة بها ـ حيث لم يأخذ بها البخاري ومسلم ولم يدخلاها في صحيحيهما!؟ لا أظنّ أنّ عاقلًا يقول بهذا القول الباطل! وقد قال الله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾النور: ٦٣ . قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: «الفتنة الشرك، لعله إذا ردَّ بعض قوله يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك»»[١].

* «إنّ الأئمَّة المحقِّقين الذين يعتد بأقوالهم في التصحيح والتضعيف قد تكلموا في أحاديث الفتن وأشراط الساعة كما قد تكلموا في أحاديث الأحكام وميَّزوا الأحاديث الصحيحة والأحاديث الحسنة من الأحاديث الضعيفة والأحاديث المنكرة والموضوعة وأفردوا الأحاديث الموضوعة بالمصنفات الكثيرة، فمن زعم أنّ نُقّاد الحديث لم يتعرَّضوا لأحاديث الفتن وأشراط الساعة بالتصحيح والتمحيص فقد قال خلاف الواقع»[٢].

* «الإيمان بأنباء الغيب ليس مقصورًا على الأشياء التي تقع في زمان الإنسان، بل يجب الإيمان بكلّ ما جاء في الكتاب والسنّة من أنباء الغيب ما كان من ذلك فيما مضى من الزمان وما سيكون من ذلك في المستقبل، ومنه أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة وما يكون بعد قيام الساعة من الأمور العظام وما يكون بعد أن يدخل أهل الجنّةِ الجنّةَ وأهل النار النارَ، ومن آمن بما يقع في زمانه ولم يؤمن بما وقع في الماضي أو بما سيقع في المستقبل فلا شك أنه داخل في عموم قول الله تعالى:

---

(١) «الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر» (ص٦٣).
(٢) «الاحتجاج بالأثر» (ص٢٠١).

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[البقرة: ٨٥][١].

* «كان السَّلف الصالح يُعظِّمون السُّنّة غاية التعظيم، ويُنكِرون أشدّ الإنكار على الذين يتهاونون بالأحاديث الصحيحة وعلى الذين يعارضونها بأقوال الناس وآرائهم، وربما هجروا بعضهم إلى الممات»[٢].

* «القول برفض الأحاديث الصحيحة وردّها يلزم منه أحد أمرين كلّ منهما سيِّئ ذميم:

أحدهما: الطعن في الثقات الأثبات ورميهم بوضع الأحاديث والكذب على رسول الله ﷺ ، وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[الأحزاب: ٥٨].

الأمر الثاني: رمي ذوي العقول والنباهة بالغباوة والتغفيل، بحيث يروج عليهم ما يدسُّه الزنادقة من الكذب على رسول الله ﷺ!»[٣].

* «أصحاب العقول السَّليمة من المسلمين قد نفضوا عن دينهم وعن عقائدهم غبار الزيف الذي أحدثه أهل الأهواء والبدع من الخوارج والرَّوافض والقدريَّة والمرجئة والجهمية والمعتزلة والفلاسفة وغيرهم من أهل الكلام الباطل الذي ذمَّه السلف وحذروا منه، ونفض أصحاب العقول السَّليمة من المسلمين عن أحاديث النبي ﷺ ما ليس منها من أحاديث الكذابين والوضّاعين، وميَّزوا الأحاديث الصحيحة من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وميَّزوا الثقات من رجال الأحاديث من المجروحين، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيرَ الجزاء فقد

(١) «الاحتجاج بالأثر» (ص٢٠١).

(٢) «الرَّد القويم على المجرم الأثيم» (ص١٣).

(٣) «الرَّد القويم على المجرم الأثيم» (ص٤٠).

تركوا الأمر جليا لمن أراد الله هدايته»[١].

* «من شكّ في عناية الصحابة بالحديث أو شكّ في عناية التابعين وتابعيهم وأئمَّة العلم والهدى من بعدهم وأراد بذلك التشكيك في الأحاديث الصحيحة فهو مفتر أفّاك ولا شكّ في عداوته للسنّة وأهلها»[٢].

* قال بعض من ردّ عليهم الشيخ حمود : «وإنا نعتقد أننا لو واجهنا البخاري الآن ببعض ما جاء في كتابه لاستبرأ ممّا لا يرضاه لدينه ولنبيِّه وللمسلمين استنادًا إلى أنّ الناس قد تداولوها بمعاني نصوصها مفتوحة للناقلين وليس بلفظ مقيَّد مربوط عن رسول الله».

فقال الشيخ حمود رحمه الله: «يقال لهذا الأحمق المعجب بنفسه: إنك لو واجهت البخاري لكنت مثل الأرنب عند الأسد! فكما أنّ الأرنب لا تبرز عند الكلب والسِّنّور فضلًا عن الذئب فضلًا عن الأسد فكذلك هذا الأهوج المغرور لا يقدر أن يَبرُز عند صغار المحدِّثين فضلًا عن الأئمَّة الحفاظ فضلًا عن أكابر الأئمة كالبخاري وأمثاله! فمنزلته مع هؤلاء أصغر وأحقر من منزلة الأرنب مع الأسد، ولكن الأمر فيه كما قيل:

وإذا الجبان خَلَا بأرضٍ قَفْرٍ   طَلَب الطعن وحدَه والنِّزالا» [٣].

* «أئمَّة الجرح والتعديل قد بيَّنوا أحوال الرواة وميَّزوا الثقات من المجروحين وبيَّنوا أحوال المجروحين على اختلاف مراتبهم ودرجاتهم في الضعف أو الانحطاط، وصنفوا في ذلك مصنَّفات كثيرة، وأفردوا الموضوعات

(١) «الرَّد القويم على المجرم الأثيم» (ص٤٤).

(٢) «الرَّد القويم على المجرم الأثيم» (ص١٤٥).

(٣) «الرَّدّ القويم على المجرم الأثيم» (ص١٦٠-١٦٢).

بمصنفات خاصّة بيَّنوا فيها أسماء الوضّاعين، وأغلقوا أبواب الدسّ عليهم وتركوا الأمر واضحًا جليا لمن أراد الله هدايته، فجزاهم الله عن المسلمين خير الجزاء»[١].

* «والنبي ﷺ أولى الخلق كلهم بصفات الكمال اللائقة بالمخلوقات، وأبعدهم عن صفات النقص، وأحقّ من غيره بالتوقير والاحترام، وأولى بالذب عنه وتأديب من أزرى بحقه وغض منه. وقد قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين». فيجب على وليِّ الأمر أيَّده الله أن يذبّ عن النبي ﷺ وينتصر له أعظم مما ينتصر ولنفسه ووالديه والناس أجمعين»[٢].

* «إنّ التحذير من إطلاق اللسان واليد على المسلمين إنما هو فيما كان من باب الظلم والعدوان، فأمّا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ على يد المسيئين وأطرهم على الحقّ فهي من الأمور التي أمر بها الشارع بها ورغّب فيها، والآيات في الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة جدا»[٣].

* «وفي القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الفضائل الكثيرة وتحصيل المصالح العامة والخاصة ودرء المفاسد العامة والخاصة ما يدعو كلّ عاقل إلى الاهتمام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإعانة القائمين بذلك، فمن أعظم فضائل القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أنه وظيفة الرُّسل وأتباعهم إلى يوم القيامة»[٤].

---

(١) «الرَّدّ القويم» (ص١٤٧).

(٢) «الانتصار على من أزرى بالنبي ﷺ والمهاجرين والأنصار» (ص١١).

(٣) «الرَّدّ على من أجاز تهذيب اللحية» (ص٤٣-٤٤).

(٤) «القول المحرَّر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (ص٣٢).

* «لم يأت في القرآن ما يدلّ على أنّ ربا أهل الجاهلية هو المحرَّم تحريمًا قطعيا دون غيره من أنواع الرِّبا، بل إنّ الألفاظ القرآن في تحريم الرِّبا والتشديد فيه والوعيد الشديد كلها على العموم، فتشمل جميع أنواع الرِّبا على حدٍّ سواء، كذلك في السُّنّة من التشديد في الرِّبا فإنه يتناول جميع أنواع الرِّبا على حدٍّ سواء»[1].

* «ومن دعا إلى تحكيم الرَّأي فيما خالف الكتاب والسنة فإنما هو في الحقيقة يدعو إلى تحكيم الطاغوت والتحاكم إليه، وهو من صفات المنافقين كما أخبر الله بذلك عنهم في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝٦٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾[النساء: ٦٠ - ٦١]»[2].

* «وحقيقة التقوى: فعل الطاعات واجتناب المعاصي، ولا يتمّ ذلك إلّا باتباع الرَّسول ﷺ والتأسّي به بجميع الأقوال والأفعال. قال الله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾[الأحزاب: ٢١]»[3].

* «لا يجوز الخوض في الأمور المستقبلة بمجرَّد الظنّ والتخرُّص، بل يردّ علم ذلك إلى عالم الغيب والشهادة الذي يعلم ما كان وما يكون لا إله إلّا هو

---

(١) «الصارم البتار للإجهاز على من خالف الكتاب والسنة والإجماع والآثار» (ص١٥٠).

(٢) «الصارم البتار» (ص١٧٤).

(٣) «الرِّسالة البديعة في الرَّدّ على أهل المجلة الخليعة» (ص٨٠).

ولا ربَّ سواه»[(١)].

* ساق مجموعة من الأحاديث في مسألة زيارة القبور ثمَّ قال رحمه الله تعالى: «وقد تحصَّل من ألفاظ هذه الأحاديث ثلاث صيغ: النفي، والنهي، والحصر، وكل واحدة من هذه الصِّيَغ تفيد أنه لا يجوز السَّفر إلى زيارة شيء من القبور ولا المساجد والأماكن المعظَّمة سوى المساجد الثلاثة، وباجتماع هذه الصيغ الثلاث يزداد المنع شدّة، والله أعلم»[(٢)].

* «الأكابر من علماء أهل السنّة قد عرفوا مغزى جهم حقّ المعرفة، ولذلك نافروه وكفّروه ونافروا أتباعه وكفروهم، واستدلّوا على تكفيرهم وبطلان أقوالهم في القرآن بالأدلّة الكثيرة من الكتاب والسنّة، وذلك مبسوط في الكتب المصنّفة في السنّة والردّ على الجهميّة»[(٣)].

* «وليعلم المرابون أنّ لهم في طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ فرَجًا ومخرجًا، فمن اتّقى الله تعالى وترك الرِّبا طاعةً لله تعالى فإنه يوشك أن ييسِّر الله له من الرِّزق الطيِّب ما يُغْنِيه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[الطلاق: ٢ - ٣][(٤)].

* «ومن أعظم الزلّات خطرًا على الإسلام وأكثرها أثرًا نقض عراه: محاولة بعض أهل الزَّيغ والفساد في زماننا أن يقاربوا بين المسلمين وبين أهل الأديان الباطلة من اليهود والنصارى وغيرهم من سائر أهل الملل المخالفة لدين الإسلام، ومحاولتهم أيضًا أن يقاربوا بين أهل السنّة وبين الرَّافضة

---

(١) «إيضاح المحجّة في الرَّدّ على صاحب طنجة» (ص١٩).
(٢) «إيضاح المحجّة» (ص٨٥).
(٣) «تنبيه الإخوان على الأخطاء في مسألة خلق القرآن» (ص٧).
(٤) «تغليظ الملام على المتسرِّعين إلى الفتيا وتغيير الأحكام» (ص٥٦).

وغيرهم من أهل البدع المخالفة لما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون لهم بإحسان، وقد نشروا دعوتهم إلى هذه المذاهب الهدّامة في كتب لهم ومقالات كثيرة»[(١)].

* «الإنسان إذا عميت بصيرته فإنّ الشيطان يتلاعب به ويصدّه عن الصراط المستقيم ويزيِّن له قلبَ الحقائق ويُريه الحقَّ في صورة الباطل والباطلَ في صورة الحق»[(٢)].

* «التسامح إنّما يكون في الأمور الدنيوية وما لا يُخلّ بالدِّين، فأمَّا الشرك والبدع والمعاصي فلا يجوز التسامح فيها، بل يجب إنكار ما ظهر منها وتغييره بحسب القدرة؛ لقول النبي ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**». رواه الإمام أحمد ومسلم وأهل السنن من حديث أبي سعد الخدري رضي الله عنه »[(٣)].

(١) «تغليظ الملام» (ص١١٦).
(٢) «الرَّدّ على كتاب المفتون» (ص٢٠٧).
(٣) «الرَّدّ على كتاب المفتون» (ص٢٣٣).

بين الشيخين حمود والألباني
عليهما رحمة الله تعالى

آثرتُ إفرادَ هذا الموضوع بمبحث مستقل لأنّ فيه فوائدَ كثيرةً وتذكرةً بآداب أهل العلم التي قرأناها مكتوبةً فرأيناها ترجمةً عمليةً بين أهل العلم، ومنهم الشيخان حمود والألباني عليهما رحمة الله تعالى، وأيضًا لإزالة توهُّم في أذهان بعض الناس ممَّن يظنّ أنّ بين الشيخين عداءًا وشحناء، أعاذهما الله تعالى من ذلك.

واللهَ تعالى نسأل أن يُعيننا على التخلّق بحسن الأخلاق وأن يصرف عنّا سيِّئها.

عوداً على بدء.. أذكر مقدّمة ثمَّ أعقبها بنتيجة:

أما المقدمة: فعلماء السُّنّة تجمعهم المحبَّة في الله ونصرة السُّنّة وإن اختلفت أعصارُهم وتباعدت أقطارُهم، فالحقّ رائدُهم والنصُّ قائدُهم.

وما يقع بينهم من الخلاف في المسائل العلمية فهو خلاف له حظّ من النظر؛ المجتهِدُ المصيب له أجران والمجتهد المخطئ له أجرٌ واحد، أمَّا مسائل الأصول فهم على قلب رجل واحد.

ردَّ الشيخ حمود ـ رحمه الله تعالى ـ على الشيخ الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ في غير مسألة، وردَّ الشيخ الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ على الشيخ حمود ـ رحمه الله تعالى ـ، فكان ماذا؟

لزومٌ لمنهج الأدب يعرف كلٌّ منهما صاحبه بالعلم ونصرة السُّنّة، بل بينهما قواسم مشتركة متشابهة.

فالشيخان من علماء السُّنّة ومن أبعد الناس عن المناصب والشهرة.

والشيخان ممَّن لهما المكانة والتقدير عند مشايخ العلم وطلبته.

والشيخان من المكثرين في التصنيف.

والشيخان من أصحاب الرُّدود على المخالفين، وإن كان للشيخ حمود ـ رحمه الله تعالى ـ قصبُ السَّبق والكثرة في ذلك.

وكتُبها مشهورةٌ متداوَلة، وإن كان للشيخ الألباني قصب السَّبق في كثرة تداول كتُبه وطباعتها.

شاهد المقال: أنّ الرُّدود بينهما كانت مأطورةً بإطار أدب الخلاف، وطلب الحقّ مقصد الجميع.

ردَّ الشيخ حمود ـ رحمه الله تعالى ـ على الشيخ الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ في بعض مسائل الصلاة، فقال الشيخ حمود ـ رحمه الله تعالى ـ في فاتحة كتابه «التنبيهات على رسالة الألباني في الصلاة»: «وقبل ذِكر التنبيهات نبدأ بشُكر الشيخ الألباني على اعتنائه بشأن الصَّلاة، وعلى إنكاره على المبتدعين في النية، وعلى ردِّه على من أنكر الصلاة على آل النبيِّ ﷺ ، وعلى إنكاره على المحافظين على التوسُّلات المبتدَعة كالتوسُّل بالجاه والحرمة والحقِّ وغير ذلك ممَّا لا يجوز التوسُّل به، والله المسؤول أن يجعلنا وإيَّاه من حزبه المفلحين الذين يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر».

وقال في (ص٦): «وما وقع من المؤلِّف ـ وفقنا الله وإيَّاه ـ فهو لا شكّ سهوٌ منه، وقَلَّ من يَسلم من ذلك...».

وفي (ص١٣) نقل عن الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ كلامًا حول تفسير قوله ﷺ: «**والشرُّ ليس إليك**» بيّن أنّ في تفسيره نظرًا، ثمَّ ساق الأدلة والتعليل، ثمَّ قال في آخر كلامه: «... ومن تدبَّر ما قرَّره الشيخُ الألباني في أثناء كلامه لم

يشكّ في حُسن عقيدته في باب القَدَر، وما وقع في أوَّل كلامه وآخِره فذلك خطأ في العبارة وقلَّ أن يسلم من الخطأ أحَدٌ من البشر، والله المسؤول أن يوفِّقنا وإيَّاه وجميع المسلمين لما يحبُّ ويَرضى من الأقوال والأعمال، وأن يسلك بالجميع سبيلَ السَّلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، إنّ ربِّي لسميع الدعاء قريب مجيب».

وجاء في مقدِّمة الشيخ الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ لكتابه «صفة صلاة النبيِّ ﷺ » (ص٣٢) الطبعة الأولى لمكتبة المعارف: «وختامًا لا بُدَّ لي أن أشكر فضيلة الشيخ التويجري على اهتمامه بالكتاب وحرصه على نُصح القرَّاء والطلّاب...» إلى أن قال: «... وأرى من تمام الشكر أن أعترف بإصابته الحقَّ فيها ـ وهي أربع مسائل من ثلاث عشرة مسألة، وإنِّي رجعتُ إلى رأيه فيها...».

هذا مجمل كلاميهما.

ومع أنّ كلامهما في كتابيهما قد مرَّ عليه أكثرُ من أربعينَ سنةً إلّا أن محبَّتهما لبعضهما وتوقير كلٍّ منهما للآخَر دام حتى موتهما، وهذا أمرٌ معلوم بل هو الأصل بين علماء السُّنة، والناقل عن الأصل محجوج بإيراد الدليل، ولا دليل هنا، فكيف إذا كان مع استصحاب حال الأصل أدلةٌ كثيرة؟ منها:

* زار الشيخ الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ الرِّياض عام ١٤١٠هـ وأخبر بعض من معه أنّه يَوَدُّ مقابلةَ الشيخ حمود التويجري رحمه الله تعالى، فأُخبِر الشيخ حمود ودُعي إلى وليمة مُقَامة للشيخ الألباني فحضر الشيخ حمود ودعَا الألباني إلى بيته فلبَّى الشيخُ الألباني الدعوةَ وحضر جمعٌ كثيرٌ من طلبة العلم فتحَ لهم الشيخ حمود قلبَه قبل بيته، فكان لقاءَ تقديرٍ ومحبَّة وتوقير، انتهى الشاهد منه.

* كان الشيخ الألباني ـ كما حدثني الشيخ علي بن حسن بن عبدالحميد وهو من خواص طلابه ـ يُعَظِّم ردود الشيخ حمود ويُفخِّمها ويقول: إنّ فيها نَصْرًا للسُّنّة وأهل السُّنة.

* وبمناسبة صدور جائزة الملك فيصل قال الشيخ حمود: «إنّ الشيخ ناصرًا من أحقّ مَن يُعطاها لخدمته للسنة». وقد أصابت فِراسة الشيخ حمود، فقد مُنِحَ الشيخ الألباني تلك الجائزة سنة ١٤٢٠هـ، وذلك بعد موت الشيخ حمود بسبع سنين تقريبًا.

* وقال الشيخ حمود أيضًا: «الألباني عَلَمٌ على السُّنة، الطعن فيه طعنٌ في السُّنة».

بعد هذا نخلص بنتيجة فيها فوائد جمَّة، منها:

* حرص علماء السُّنّة على طَلَب الحقِّ ولزومه علمًا وعملًا.

* إنّ اختلاف الآراء بين علماء السُّنة لا يلزم منه اختلاف القلوب كما هو الشأن في أهل الأهواء.

* دعاء علماء السُّنة لبعضهم مع حمل كلٍّ منه لصاحبه على أحسن المحامل.

* فَرَح علماء السُّنة بلقاء بعضهم بعضًا.

رحم الله الشيخين حمودًا التويجري وناصرًا الألباني، وجَمَعهما في الآخرة في مقعد صدق عند مليك مُقتدِر.

***

ملحق

كان الشيخ حمود رحمه تعالى إذا أجاز أحدًا أعطى المُجاز صورةً من كتاب فيه ثبت الكتب المجازة. وهذه ثلاث صفحات منه:

صورة غلاف الكتاب

صورة الصفحة الأولى من ثبت الكتب المجازة الذي بخط الشيخ

صورة الصفحة الأخيرة من الكتاب

نموذج من خط الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله التويجري رحمه الله تعالى

نموذج من خط الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله التويجري رحمه الله تعالى :

!j

الموضوع	الصفحة

!!

!

ayoubeo@gmail.com